العدد 7

مع الشباب

MAA ASHABAB

مجلة فصليّة تصدر عن
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ـ بيروت
العدد السابع ــ السنة الثانية ــ خريف 2019م ـ 1441هـ

أنا والسوشيال ميديا
من يتحكم بالآخر؟!

- الشباب ومنصّات "السوشيال ميديا"
- قراءة جديدة لمفهوم الميديا
- مواقع التواصل الاجتماعي وتدمير الاستقلال الفكري والديني
- الإعلام الجديد والأمن الأسري
- عندما يصاب الشباب بالهوس!
- دور الإعلام الجديد في نشر ثقافة الاستهلاك

تجارب شبابيّة
بأقلامكم تبدعون...

تربية
لذوي الاحتياجات تربية خاصّة

تنمية
عندما يصبح التعليم إبداعياً

- عالم الغد: المستحيل هو الممكن
- الكاريزما
- مكة المكرّمة
- المعلم الثاني: الفارابي

"إنّ أوقاتَكَ أجزاءُ
عُمرِكَ فَلا تُنفِذْ لَكَ وَقتاً
إلاّ فيما يُنجيكَ"
الإمام علي عليه السلام

مجلــة فصليّة تصـــدر عن
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ـ بيروت
العدد السابع ـ السنة الثانية ـ 1441 هـ ـ خريف 2019 م

رئيس التحرير
حسن أحمد الهادي

مديرة التحرير
مريانا إبراهيم

المدير المسؤول
وفاء حطيط

التصميم والإخراج الفني
علي ميرحسين

الهيئة الاستشارية
جهاد سعد

أسرة التحرير
نبيل سرور
محمد باقر كجك
آلاء شمس الدين
محمد حسن
فرح الحاج دياب
أحمد شيبان
سكينة مصطفى
حوراء هزيمة
سكينة حسن

بوصلة

سلاحٌ ذو حدَّين

ونحن نعيش في عصر الحضارة الحديثة؛ حيث احتلت التكنولوجيا موقعًا أساسًا في حياة الناس الفرديّة والاجتماعيّة والعمليّة، لم يعد بالإمكان أن نبتعد عن وسائل التواصل، أو أن ندّعي عدم التأثّر بها؛ لأنّ أهداف التشكّل الاجتماعيّ البشريّ قد تحقّقت من خلالها. فالإنسان كائنٌ اجتماعيّ يميل إلى التشكّل مع الأفراد الآخرين، وقد استطاع من خلال وسائل الاتصال والتواصل أن ينقل مراده إليهم، وأن يشاركهم الأفكار والاحتياجات.

لهذا ينبغي النظر بموضوعيّة ـ على المستويين التربويّ والاجتماعيّ ـ إلى هذا التطوّر التكنولوجيّ الهادر والسريع، والتفكير الجدّي بالاستفادة الإيجابيّة الفاعلة من مختلف وسائل الاتصال والتواصل، وغيرهما من التقنيات الحديثة التي تصبّ في خدمة البشريّة. ولا بدّ من اقتحام هذا العالم من منطلق المراعاة لأسرنا ومجتمعاتنا، بدل من أن نتفرّغ لمعالجة آثاره ومواجهتها أو توجيهها، أو الضغط على الناس والمجتمع لتجنّبه. والحلّ الأسلم والأصحّ إنّما يكون في التوجيه الاجتماعيّ، والتحصين الأخلاقيّ والتربويّ، إلى جانب التفقّه في أحكام التواصل الاجتماعيّ، حتى نساعد شبابنا الغارق في أمواج السوشيال ميديا المتلاطمة بمختلف الوسائل والتقنيات؛ لأنّه على الرغم من أهميّة هذه الوسائل في تحقيق الكينونة الاجتماعيّة للأفراد، وتطوير أشكال الاتصال والتواصل في الحياة البشريّة، فإنّ مشاركة أيّ فرد في فتح حساب على مواقع التواصل الاجتماعيّ تجعله عضوًا تلقائيًّا في دعم البنية التحتيّة للمجتمع العالميّ الجديد.

وهنا يأتي السؤال الكبير عن القواعد والضوابط التي تحكم طبيعة هذه العضويّة الاجتماعيّة الجديدة من حيث الانتماء والهوية والدور والوظيفة؟!

ثمة أهداف مسكونة في ذهن الآباء المؤسّسين يريدون تحقيقها، ويسعون إلى ذلك؛ فالذي عمل على إنشاء وسائل التواصل الاجتماعي لم ينظر فقط إلى «كيف؟» بل كان في ذهنه سؤال: «لِمَ؟».

وللقيّمين على هذه الوسائل نوعان من الأهداف: أهداف ثابتة، وأخرى متحركة ومرنة، يطوّرون نظرتهم إليها في ضوء كثير من المعطيات والوقائع، ويعدّلون فيها، ويبرمجونها، ويصمّمونها بما يتلاءم مع خدمة أهدافهم الجديدة. وفي الحقيقة إنّ هؤلاء الأشخاص ينتمون إلى محيط حضاريّ، وفلسفة حياتيّة خاصّة لعبت دورًا في تصميم تلك الوسائل، وهندستها، وبرمجتها بكيفية خاصة؛ إذ إنّ سلوك الإنسان وليد أنماط تفكيره ورؤيته عن الحياة، ومهما بالغوا في التقنية وتوغّلوا فيها فلن يستطيعوا عزل DNA عالم الأفكار عن أن يصبغ عالم الأشياء.

صحيح أنّ الأجهزة الأمريكيّة قد أنشأت هذه الوسائل في البدايات لأغراض عسكريّة وأمنيّة بهدف قيادة العالم والتحكّم به والسيطرة عليه، وأنّ هذه الوسائل انطلقت من فلسفة خاصّة تكمن في الشعور الأمريكيّ بضرورة التفوّق عبر فائض القوّة بأشكالها المختلفة. لكن مع مرور الوقت تطوّرت الأهداف، وتمدّدت هذه الوسائل خارج الإطار الأمنيّ والعسكريّ، ليصبح لها أهداف ثقافيّة، واجتماعيّة، في مختلف المجالات.

إنّ استخدام الناشطين لهذه المواقع من خلال عرض آرائهم وعواطفهم ومشاعرهم،... يخدم الأهداف الأمريكيّة في بناء بنك معلومات عن أنماط شخصيّاتهم، وخصوصيّاتهم، وعلاقاتهم الاجتماعيّة، ورصد مشاكلهم الداخليّة، واكتشاف نقاط ضعفهم، ومن ثمّ توظيف هذه المعطيات والبناء عليها، والتسلّل منها لتحقيق غاياتهم المرجوّة؛ الثقافيّة، والسياسيّة، والأمنيّة، والاقتصاديّة والإعلاميّة.

وقد بات من الواضح أنّ التحوّل في الآلات والوسائل لا يقتصر على الفضاء التقنيّ والشكليّ، بل يتعداه إلى إحداث تحوّل في بنية الحياة الإنسانيّة، وشكل الحضارة البشرية، ونظمها، وقيمها، وأفكارها، وعلومها، وفلسفاتها...، فثمّة آثار وبصمات تتركها هذه الوسائل على شخصيّة المُستخدِم وإن لم تكن مقصودة له أو للمؤسّسين، لكنّها ترتّبت على تراكم استخدامها؛ كترتّب المعلول على علّته. والأعراض الجانبيّة لاستخدام هذه الوسائل تتراكم تدريجيًّا في المحتوى الداخليّ للشخصيّة، وتؤثّر فيه وتتفاعل داخله حتى تطفو على السطح فجأة؛ مثلًا: عندما يصمّم مؤسّسو فيسبوك هذه الوسيلة بوضع خيار إضافة صديق بنحو تشمل الصداقة الذكرَ والأنثى، ثم ينشط الشخص المتديّن على موقع فيسبوك، ويضيف إلى قائمة الأصدقاء الخاصّين به شخصًا من الجنس الآخر، ويطلق عليه بكلّ أريحيّة اسم صديقي أو صديقتي، ثم تمتدّ دائرة استخدام هذا المصطلح إلى الخطاب العامّ في المحاورة بين الطرفين، فهذا له تداعياته النفسيّة في الخطاب وأدبيّات العلاقة بين الجنسين وقيمها، حيث يؤدّي في مكان ما إلى كسر العديد من الحواجز التي ترسمها ضوابط المجتمع الفيزيقيّ وأعرافه وقيمه...، بنحو تصبح الصداقة الاجتماعيّة بين الجنسين أمرًا مقبولًا، إضافة إلى تجاوز الحدود المادّيّة جغرافيًّا وزمانيًّا. ويُضاف إلى ذلك – أيضًا- النماذج المتعلّقة بالإيموجي أو الرموز التعبيريّة أو الصور الرمزيّة؛ حيث يتمّ إرسال قلب ينبض مثلًا أو وجه مع قبلة... وغيرها من الرموز التي تتضمّن معانٍ ودلالات تؤثّر في طبيعة العلاقة بين الطرفين؛ لأنّ الإنسان بطبيعته ينفعل مع الرموز، ويتأثّر بها، وتترك بصمتها على نفسيّته وعواطفه وتكوين شخصيّته.

الآثار النفسيّة والإيديولوجيّة لوسائل التواصل:

عزّزت وسائل التواصل الاجتماعيّ النزعة الفرديّة في هذا العالم الجديد، حين أتاحت لكلّ فرد أن يكون له صوته الخاصّ الذي يعرض من خلاله أفكاره ووجهات نظره، فيشعر حينها

بأنّه عنصر فاعل ومؤثر في البنيّة الاجتماعيّة العالميّة ومشكلاتها وتحدّياتها.

كما عزّزت هذه الوسائل دمقرطة الاتصال من خلال الشعور بقوّة حضور الأنا؛ لأنّها أخرجت آليّات التعبير من أسر السلطة واستئثارها بحقّ الكلام، ووضعتها بين أيدي الناس جميعًا؛ حيث وجد الفرد الإنترنتيّ نفسه مع النخبة وجهًا لوجه ورأسًا لرأس، بل قد يفوقها حضورًا في هذا الفضاء العموميّ، فهو شخص صاحب رأي وموقف، يجادل ويناقش ويعلّق بحرّيّة، فبرزت صورته الفرديّة، وتضخّمت معها قوّة حضور الأنا والنرجسيّة وتضخّم الذات.

والفرد الرقميّ الذي يترعرع في ظلّ هكذا مناخ يمارس فيه الدمقرطة بكافة أشكالها، لن يبقى الأثر السيكولوجيّ لتغيّره مقتصرًا على خصوص المشاركة في الفضاء الرقميّ، بل ستصبح هذه الخصائص جزءًا من هويّته وتركيبته النفسيّة التي سيحملها معه إلى الواقع الاجتماعيّ؛ فيُتوقع أن يطالب الدولة والمؤسّسة التي ينتمي إليها بأن يكون شريكًا في صناعة الرأي، وأن لا تُهمّش وجهة نظره، أو بالحدّ الأدنى ستكون قوّة الاعتراض والنقاش والجدل للرأي حاضرة في كافّة القرارات والقضايا.

وقد أدّت التعدديّة الثقافيّة، والديموقراطيّة، وانفتاح الخيارات، والحرّيّة والمساواة، والتحرّر من السلطة والرقابة على وسائل التواصل الاجتماعيّ، وغير ذلك إلى تحوّل إيديولوجيّ لدى الجيل الرقميّ، حيث غلبت عليه خيارات فكريّة ذات توجّهات ليبراليّة، وأصبح يؤمن أكثر من أيّ وقت مضى بمبدأ الحريّة الفرديّة، وحرّيّة التعبير، وحرّيّة الاختيار، والأهم تعدّد الطروحات. كما أنّه لم يعد يحتمل أحاديّة الطرح والفكر المنغلق.

الآثار الاجتماعيّة لوسائل التواصل:

أدخلت وسائل التواصل الاجتماعيّ الفرد الرقميّ في حالة من الذاتيّة والعزلة الاجتماعيّة، والتي تعتبر من إفرازات الفردانيّة، ما أدّى إلى إضعاف النسيج الاجتماعيّ الواقعيّ، وتداعي البنية التحتيّة الاجتماعيّة التقليديّة، وتناقص عضويّة المؤسّسات التقليديّة في المجتمع العصريّ، فبدأ نطاق التشبيك الاجتماعيّ عبر الاتصال المباشر يضيق شيئًا فشيئًا في كلّ المجتمعات العربيّة، في مقابل اتساع نطاق التشبيك الاجتماعيّ الافتراضيّ، ولم يعد الناس يتواصلون فيزيقيًّا، ولم يعودوا يتزاورون كما كانوا يفعلون من قبل، فقد أغنتهم الرسائل النصيّة القصيرة، ورسائل البريد

الإلكترونيّ، والبطاقات الإلكترونيّة، وما يكتبونه ويتبادلونه على الفيسبوك، والتويتر، والواتس آب عن العلاقات الاجتماعيّة الفيزيقيّة. ومن هنا لم تعدّ صورة الأسرة أو العائلة هي تلك التي تعيش في بيتٍ واحد بعد أن انهمك كلّ فرد من أفرادها بعالمه الافتراضيّ الخاصّ، فثمّة حضور مغيّب في التجمّعات العائليّة، حيث توجد الأجساد في المكان نفسه، بينما تظلّ العقول والعيون منشغلة بالهواتف الذكيّة. وتحوّلت وسائل التواصل الاجتماعيّ إلى منصّات تنشئة اجتماعيّة، لا تُبنى محتوياتها وفقًا لمقتضيات بناء المجتمع الواحد، والحفاظ على تماسكه عبر توارث قيم دينيّة، وثقافيّة، واجتماعيّة، وفكريّة متجانسة... فالفرد الإنترنتيّ لا يكون منطلقه المعرفيّ والاجتماعيّ والثقافيّ مجتمع الانتماء الحقيقيّ الذي يحتضنه فقط، بل الجماعة الافتراضيّة التي يتأثّر بها عبر مختلف أشكال الزخم الفكريّ والأيديولوجيّ المتداول على منصّات التواصل.

كما برزت مع ظهور وسائل التواصل الاجتماعيّ مشكلة تقمّص الشخصيّات الافتراضيّة من حيث السنّ والأنوثة والذكورة والدور الاجتماعيّ، فأصبح الفرد الإنترنتيّ قادرًا على خلق هويّة افتراضيّة، وهي عبارة عن الشخصيّة التي يتم إنشاؤها من طرفه، لتكون صلة وصل بينه وبين باقي المستخدمين. وبعبارة أخرى: الهويّة الافتراضيّة هي السمات والمواصفات التي يقدّمها الفرد الطبيعيّ للآخرين عن نفسه عبر الإنترنت، ويتفاعل معهم ويتفاعلون معه من خلالها. ولهذا، تعتبر مجتمعات العالم الافتراضيّ فضاءات رحبة للتمرّد على الخجل والانطواء، مرورًا بالتمرّد على الأخلاق العامّة، والليباقات الاجتماعيّة، وانتهاءً بالثورة على الأنظمة السياسيّة.

ختامًا ونحن نعيش- اليوم- في عمق هذه الفجوة الثقافيّة والاجتماعيّة التي سبّبها التطوّر التكنولوجيّ، يتحتّم على مجتمعنا الإيمانيّ، وعلى جميع المؤسّسات الثقافيّة، والتربويّة، والاجتماعيّة إعادة تنظيم المجتمع بما ينسجم مع المنظومة العقديّة، والقيميّة، والتشريعيّة الدينيّة، وبما يسهم في المشاركة على هذه الوسائل بنحوٍ يحافظ فيه الناشط على الضوابط القيميّة والشرعيّة، ويجعل هذه الوسائل منصّات لتحقيق الأهداف الرساليّة أو لا أقلّ الحدّ من المؤثّرات السلبيّة لهذه البيئة الجديدة.

رئيس التحرير
حسن أحمد الهادي

الباحثون عن الله ... (3)

د. نور الدين أبو لحية
أستاذ جامعي ومفكّر إسلامي - الجزائر

في صباح اليوم التالي قصدتُ المطار... وهناك رأيت عشرة من الرجال.. كلّ واحد منهم قد امتلأ شعره بالشيب الذي ملأ شعري... بل إنّ بعضهم أحنَتْ ظهره الأيام، فطأطأ رأسه لها.

سلّمت عليهم، ثم ركبنا الطائرة... وقد قدر الله أن لا نصل إلى مبتغانا؟!!!

هذا ما وصلنا إليه في الحلقة الثانية[1]؛ وكنّا بانتظار الإجابة عن السؤال الآتي: لماذا لم تصل الطائرة؟!!

لقد أصاب الطائرة ونحن في وسط الطريق من العطب ما كاد يقضي على حياتنا...

ولولا مهارة قائد الطائرة، لكنّا جميعًا في عداد الموتى، لكنه - بعد جهد جهيد- استطاع أن يحطّ بها في غابة موحشة ممتلئة بالظلمات والبرد الشديد..

وقد ملأنا قائد الطائرة حزنًا، حيث أخبرنا أنّ كلّ أجهزة الطائرة قد أصابها عطل يحول بينها وبين أيّ تحرك.. بل حصل لكلّ أجهزة الطائرة من العطب ما يحول بينها وبين الاتصال بأيّ جهة من الجهات.

ثم عاد وأخبرنا بأنّنا في مكان يستحيل على أيّ جهاز في الدنيا أن يرقبه.. فالباحث في تلك الغابة كالباحث عن إبرة في كومة عظيمة من القشّ.

قال لنا ذلك.. ثم راحوا يوزّعون علينا ما بقي من الزاد القليل..

بقينا في تلك الغابة شهرًا كاملًا إلى أن أدركنا الله بفرَجه..

قلت: كيف حصل ذلك، وقد أخبركم قائد الطائرة أنّكم في مكان لا يمكن أن يتعرّف عليه أحد من الناس؟

قال: لا تعجل، فإنّ لذلك قصة كانت هي المفتاح الأكبر الذي اهتديت به إلى الإسلام..

(1)- يراجع: العدد السادس، الباحثون عن الله، ص4.

امتلأت سرورًا، وقلت: كيف كان ذلك؟

قال: سأحكي لك الحكاية من البداية..

قلت: لقد ذكرت لي أنّ الطائرة نزلت بكم في ذلك المحلّ الموحش الذي لا يمكن أن يعرفه أحد من الناس.

قال: أجل.. وقد تقلّبت بنا الأحوال في تلك الأيام تقلّبات عجيبة.

في الأيام الأولى.. كان الزاد متوافرًا، فقد انشغلنا، وانشغل كثير منا باللهو واللعب.. وكأنّ الموت لا ينتظرنا، بل إنّ بعضنا عندما عوتب في لهوه ولعبه، قال: دعني أموت وأنا أضحك خير من أن أموت وأنا أبكي.

أمّا عندما بدأ الزاد ينفذ، وبدأت الحقيقة تنجلي... بدأ الإحباط ينشر أشعّته على أكثر ركاب الطائرة، على الرغم من كونهم أناسًا مثقّفين... حتى وصل الأمر ببعض الأشخاص إلى حدّ الانتحار، ووصل بآخرين إلى حدّ الجنون..

* * *

بعد هذه الحوادث وغيرها رأيت خوفًا كبيرًا بدأ يدبّ إلى قلوب المسافرين معنا.. وقد استحث ذلك بعض المسافرين معنا، وكان من بينهم رجلٌ حكيمٌ جمع من بقي من المسافرين عدانا، ثم انفرد بهم؛ يناجيهم ويناجونه بما لم نتمكّن من سماعه..

وبعد تلك المناجاة أتوا إلينا، وقالوا: لقد علمنا أنّكم رجال عارفون بالله.. وأنّكم ما خرجتم من بلادكم إلا لتعرّفوا الخلق بالله.. فهيّا عرّفونا بربّنا لندعوه أن ينقذنا مما نحن فيه..

قال رجل منهم: نحن من بلاد مختلفة.. منّا مَن يؤمن بالله.. ومنّا مَن لا يؤمن به.. ونحن نختلف فيما بيننا اختلافًا شديدًا في معارفنا المرتبطة بالله.. ولا يمكن لدعواتنا أن ترتفع للآلهة المزيفة؛ فلذلك لا مناص لنا من البحث عن الإله الحقيقيّ حتى نرفع أكفّنا بالتضرّع إليه.

قال آخر: نحن كمرضى نحتاج إلى طبيب.. ولذلك نحتاج إلى التعرّف على الطبيب قبل أن نطلب منه أن يعالجنا.. حتى لا نسلّم أجسادنا للدجالين.

وعقّب ثالثٌ: في موقفنا هذا لا تُجدينا إلا الحقائق.. فحدثونا بالحقائق لا بالرسوم..

طأطأنا رؤوسنا جميعًا.. ثم ركنّا إلى صمت طويل.. قطعه أحدنا بقوله: اسمحوا لي أيها الجمع أن أعترف الآن بين أيديكم في هذه اللحظات ـ التي ربما تكون آخر لحظات حياتي ـ بأنّي لم أكن مسافرًا للتعريف بالله...!!

سرت ضوضاء في الجمع الملتف حولنا، قطعها بقوله: لا تتعجّبوا.. هذه هي الحقيقة التي كنت أتفنّن في سترها بأنواع الطلاء.. نعم أنا مكلّف بأن أقدّم محاضرة تحاول أن تعرّف بالله.. ولكنّها في الحقيقة محاضرة لم تؤسَّس إلا على مطامعي وأهوائي، لا على الحقائق التي تفرضها العقول ويدعو إليها المنطق.

ردّد أصحابي الباقون ما ردّده هؤلاء.. فقال رجل من الجمع: فماذا نفعل إذن؟! كيف نبحث عن ربّنا؟! فلا يمكن لدعواتنا أن تصل إلّا إلى الله الحقيقيّ.. هكذا أخبرنا الحكيم؟

بعد صمت طويل ممتلئ بالألم، قام أحدنا، وكان – على ما يبدو – أكبرنا سنًّا، وقال: سأحدّثكم أنا عن بعض لحظات الصدق التي عشتها عساها تكون مقدّمة لبحثنا عن الله...

كنت في يوم من الأيام تلميذًا من تلاميذ أكبر الملاحدة الذين عرفهم العالم؛ فلذلك لم أكن أعرف الله، ولم أكن أؤمن بوجوده.

لقد امتدّت بي هذه الحال أعوامًا طويلة...

لست أدري هل كان ما أتفوّه به هو حقيقة ما كان يملأ وجداني، أم أنّ زهوّي بعقلي الذي بدأ يتفتّح، وإعجابي بموهبة الكلام ومقارعة الحجج التي انفردت بها كان هو الحافز والمشجّع والدافع.. لست أدري..

لكن الذي أعرفه هو أنّني رفضت التسليم بوجود الله لسبب واحد، هو أنّني استغرقت في عبادة نفسي، وأعجبت بومضة النور التي بدأت تومض في فكري مع انفتاح الوعي وبداية الصحوة من مهد الطفولة.

كانت هذه هي الحالة النفسيّة وراء المشهد الجدليّ الذي كان يتكرّر كلّ يوم..

لقد غاب عنّي حينها المنطق الذي كنت أدّعيه.. فلم أدرك بسبب عبوديتي لنفسي أنّني أتناقض مع نفسي؛ إذ كيف أعترف بالخالق، ثم أقول: ومن خلق الخالق، فأجعل منه مخلوقاً في الوقت الذي أسمّيه خالقاً، وهي السفسطة بعينها..

هذه بدايتي... وقد احتاج الأمر منّي بعدها سنين طويلة من الغرق في الكتب، والغرق في التأمّل، والحوار مع النفس، وإعادة النظر وتقليب الفكر على كلّ وجه لأقطع الطريق الشائكة التي أيقنت من خلالها بوجود الله.

لم يكن الأمر سهلاً.. لأنّني لم أشأ أن آخذ الأمر مأخذًا سهلاً.. فلو أنّني أصغيت إلى صوت الفطرة، وتركت البداهة تقودني، لأعفيت نفسي من عناء الجدل، ولقادتني الفطرة إلى الله..

خلاصة

عرضنا في الحلقات الثلاث مقتطفات من رواية تدور أحداثها حول رجل دين مسيحيّ يزور المؤلّف، ثم يحكي له قصّة اهتدائه لله، وهي القصّة التي بدأت بتكليفه من طرف الكنيسة باصطحاب هيئة علميّة أرسلها الفاتيكان لحضور مؤتمر علميّ حول الله في الأديان المختلفة.. وقبل الوصول إلى المؤتمر نزلت الطائرة التي تُقلّهم اضطراريًّا في مكان مجهول، وحين يئسَ الركّاب من أن ينقذهم أحد وقفوا مواقفَ مختلفة.. أمّا الملاحدة واللادينيّون، فمنهم من انتحر، ومنهم من أصيب بالجنون.. وأمّا غيرهم، فتضرّعوا إلى الله.. كلّ حسب دينه الذي يعتقده.. لكنّ شخصًا منهم خاطبهم بقوله: «نحن من بلاد مختلفة.. منّا من يؤمن بالله.. ومنّا من لا يؤمن به.. ونحن نختلف فيما بيننا اختلافًا شديدًا في معارفنا المرتبطة بالله.. ولا يمكن لدعواتنا أن ترتفع للآلهة المزيّفة.. فلذلك لا مناص لنا من البحث عن الإله الحقيقيّ حتى نرفع أكفّنا بالتضرّع إليه».

وهنا بدأ كلّ باحث من الهيئة العلميّة يدلي بشهادته الصادقة عن معارفه التي وصل إليها أثناء زيارته لبلاد المسلمين...

وفي النهاية.. وبعد اهتدائهم لله ودعائهم له، قيّض الله لهم من أنقذهم..

روايةٌ تحاول أن تنشر في قلب كلّ إنسان أهمّيّة معرفة الله وضرورتها؛ فالحياة لا تستقيم دونها، والقلبُ لا يدرك ضالّته بغيرها...

أنا

والسوشيال ميديا

مَنْ يتحكّم بالآخر؟!

- الشباب ومنصّات "السوشيال ميديا"
  خضر حيدر
- قراءة جديدة لمفهوم الميديا
  حسن الزين
- مواقع التواصل الاجتماعي وتدمير الاستقلال الفكري والديني
  زينب عقيل
- الإعلام الجديد والأمن الأسري
  زهراء السيد
- عندما يصاب الشباب بالهوس!!
  فضل شحيمي
- دور الإعلام الجديد في نشر ثقافة الاستهلاك
  آلاء شمس الدين
- الجمهور وصناعة المحتوى الإعلامي للفيسبوك
  محمد حيدر
- هل تعيد الإنترنت تشكيلنا ؟!
  علي أحمد

الشباب ومنصّات "السوشيال ميديا"

خضر حيدر
متخصّص في الصحافة وباحث في الإعلام المعاصر-لبنان

"العالم، بفضل تكنولوجيا الإعلام والاتصالات المتطوّرة، بات قرية كونيّة مصغّرة"

مقولةٌ ظلّت على مدى عقدين لازمةً تُتداول على ألسن الناس، وخصوصاً الباحثين في مجال الإعلام والسياسة وعلم الاجتماع، لكن لم يكن يدور في بال مَن أطلقها أنّه سيأتي يومٌ تتقلّص فيه هذه القرية أكثر فأكثر، حتى يصير التعرّف على العالم ضمن حجرةٍ في منزل، أو داخل سيّارة، أو ربما تحت ظلّ شجرة، وكلّ ذلك بفضل وسائل التواصل الاجتماعيّ التي دخلت كلّ البيوت دون استئذان، وباتت في متناول الكبار والصغار، يواكبون من خلالها الأحداث لحظة بلحظة، بل باتوا- أيضاً- قادرين على المشاركة في صناعة الخبر ونشره في أرجاء الكون بثانية واحدة.

ولا شكّ في أنّ تلك الأرقام التي توردها الأبحاث والدراسات حول نِسَب استخدام وسائل التواصل الاجتماعيّ بلغت درجات قياسيّة؛ فقد كشف تقرير أجرته شركتا "هووت سويت" و "وي آر سوشيال" المتخصّصتان في هذا المجال، أنّه قد بلغ عدد مستخدمي الإنترنت 3 مليار مستخدم حول العالم، أي ما يقارب 40% من سكّان الكرة الأرضيّة. وأظهر التقرير أنّ مستخدمي الشبكة العنكبوتيّة عبر الهواتف الذكية بلغ 2,780 مليار شخص[1].

من هنا يمكن أن يُطرح السؤال الآتي:

أيُّ ثورة هذه التي قلبت أنماط الحياة وأنظمة القيم، خصوصاً لدى جيل الشباب الذين تقع عليهم مهمة بناء مستقبل أوطانهم وتقرير مصير شعوبهم؟

واقع الحال أنّها حياة جديدة ومذهلة، لا بل مقلقة، هي مذهلة لأنّه صار بمقدور أيّ فرد أن يبني منصّته الخاصّة التي يطلّ بها على العالم، مبدياً آراءه بلا قيود ولا ضوابط،

(1)- يراجع: موضع France 24.

كما صار قادراً على المساهمة في إحداث ثورات، أو قلب معادلات، أو تشكيل رأي عامّ حول قضايا مختلفة في وطنه، بل على مستوى العالم؛ وهي مقلقة لأنّ مستخدمها بات عرضة لأهواء لا يحدّها حدّ، ولشائعات تنهمر عليه من كلّ حدبٍ وصوب، مع ما يترتّب على كلّ ذلك من تداعيات وآثار خطيرة.

الفئة الأكثر تفاعلاً؟!!

لا يخفى أنّ فئة الشباب هي الأكثر تفاعلاً مع وسائل التواصل الاجتماعيّ، وأسباب ذلك عديدة ومتنوّعة يمكن إجمالها بما يأتي:

- **أوّلاً:** إنّ الشباب يجدون في هذه المنصّات باباً يدخلون منه للتعرّف على عوالم مجهولة، ونافذة يطلّون من خلالها على الأحداث المحيطة بهم، ويتفاعلون معها، بغية المشاركة في صناعتها.

- **ثانياً:** إثبات الذات؛ فالشاب (ذكراً كان أو أنثى) يكون في ذروة الاندفاع لتحقيق الطموحات والمواهب بكلّ إمكاناته وقدراته، كما يكون بطبعه شعلة متّقدة طامحة إلى الحرّيّة، فيجد في هذه المنصات قاعدة منيعة للانطلاق، ويجد في نفسه الأهليّة ليكون قائداً قادراً على التعبير عما يجول في نفسه من أفكار.

- **ثالثاً:** إنّ الثورات والتحرّكات الشعبيّة والاضطرابات والاعتصامات التي تنطلق في غير مكان من العالم، عصبها الأقوى هم الشباب الذين لم تعد تكفيهم البيانات الإعلاميّة الرسميّة، أو مركزيّة القرارات، بل صار كلّ فرد منهم مهيَّأً لأن يقود من منصّته حراكاً، أو يُرَوِّج لفكرة ورأي بلا حسيب ولا رقيب. وليس غريباً أن نسمع اليوم بكثرة ما أطلق عليه "الجيش الإلكترونيّ" للتعبير عن الحملات المنظّمة التي تقوم بها مجموعات شبابيّة عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ للتعبير عن موقف داعم لفريق، ومناهض لفريق آخر.

حرب الجيل الرابع!!!

على الرغم من فوائدها الكثيرة، تبقى منصّات "السوشيال ميديا" حقلاً منتجاً للقيم السلبيّة. وبسبب عدم القدرة على التحكّم بها، تشكّل مجالاً خصباً للتلاعب بالعقول والتأثير على الميول النفسيّة والمعنويّة. فهي دائماً عرضة للاختراق، ومطيّة لفبركة الشائعات، وحرف الأمور عن نصابها الحقيقيّ، الأمر الذي كانت له عواقب سلبيّة شتّى على الدول والمؤسّسات، وكذلك على الأُسر والأفراد والمجتمعات الأهليّة.

في هذا السياق، يتحدث علماء الاجتماع عن حرب من

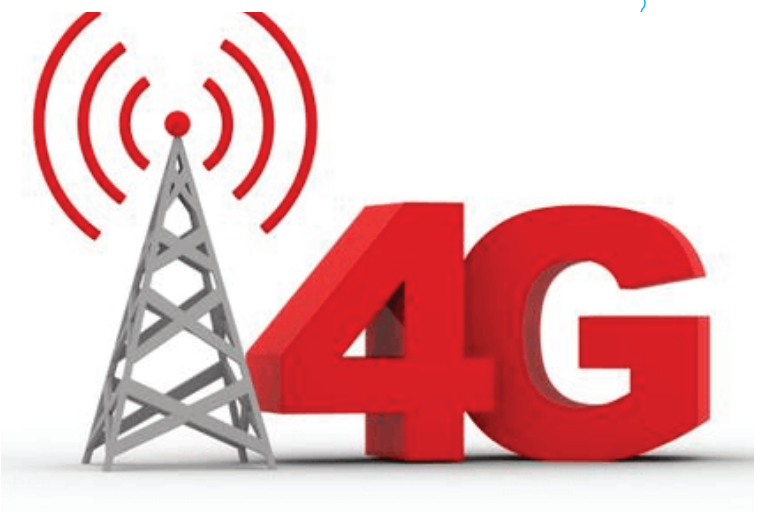

نوع جديد تسمّى **"حرب الجيل الرابع"**[1]، لها أسلحتها وتقنيّاتها الخاصّة المتمثلة بالشائعات والفتن والأخبار المضلِّلة. يقول عنها المفكّر الفرنسيّ **"روجيه غارودي"**: **"الآن يقاتل الغرب بالحرب الصفريّة، فالعدو يقتل**

(1)- يراجع: عليويّ، عامر: حروب الميديا، صحيفة «الرأي» الأردنيّة، الأردن، 2019/2/21.

نفسه، والعدو يدفع ثمن السلاح، والعدو يطلبنا للتدخّل فلا نقبل»[1].

أمّا الروائيّ الأميركيّ "مايكل فروست"، فيؤكّد: **"أنّ الإنترنت هو المكان الأسرع والأكثر تداولاً للشائعات غير الحقيقيّة"**[2].

ويقول المؤرّخ الإسكتلنديّ والكاتب "توماس كارليل": **"إنّ أوهامنا تتفاعل مع احتياجاتنا وآمالنا، وتنتج من هذا التفاعل ظروف خصبة تعيش فيها الشائعات التي تنتشر بسرعة أكبر"**[3].

مكافحة الأخبار الكاذبة:

على الرغم من كون الغرب هو الموطن الذي نشأت فيه الميديا، لكنّه لم يستطع التحكّم بآثارها وتداعياتها الخطيرة على مواطنيه فضلاً عن مؤسّساته الحكوميّة، ولعلّ من أهم القضايا التي شكّلت هاجساً يوميّاً لدى السلطات المحلّيّة، ومراكز الأبحاث العلميّة هي الأخبار الكاذبة والوهميّة التي تعجّ بها وسائل التواصل، والتي انعكست في كثير من الأحيان على الأمن القوميّ والاقتصاديّ لبعض الدول.

ففي دراسة حول ظاهرة انتشار الأخبار الكاذبة قام بها باحثون أميركيّون من جامعة "ماساشوستس للتكنولوجيا" ونشرتها مجلة "ساينس"، تَبيّن أنّ 3 مليون شخص قاموا بإعادة "تغريد" أخبار غير صحيحة 4 مليون مرة على موقع "تويتر". وخلص الباحثون إلى أنّ المحتويات الزائفة، سواء أكانت نصًّا أو فيديو أو صورة، تتمتع بفرصة انتشار تتجاوز 70% مقارنة بالحقيقيّة[4]، كما أشارت الدراسة إلى أنّ وزير العدل الألمانيّ هيكو ماس دعا إلى نصّ قانون ضد "خطاب الكراهيّة" و"الأخبار الكاذبة" على مواقع التواصل الاجتماعيّ، وهذا الأمر دفع موقع "فايسبوك" إلى طرح تطبيق جديد في ألمانيا هدفه التأكّد من الأخبار قبل نشرها[5].

من هنا، تعمل الهيئات الرسميّة والأمنيّة والاجتماعيّة وغيرها في كلّ دول العالم على تشكيل أجهزة لمكافحة آفّة الشائعات والأخبار الكاذبة.

وقد نهت التعاليم الدينيّة، ولا سيّما الإسلاميّة بشدّة عن سَوق الاتهامات والافتراءات، ونشر الأخبار قبل التحقّق من صحّتها؛ لما تنطوي عليه من إشاعة الفساد في الأرض، حيث يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (سورة الحجرات، الآية 6).

وفي مورد آخر نهى القرآن الكريم عن الخوض في قضايا ومواضيع لا دراية لنا فيها؛ لما لذلك من تبعات سلبيّة، بل مدمّرة، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ (سورة الإسراء، الآية36).

لتفادي الجريمة الإلكترونيّة...

بما أنّ "السوشيال ميديا"، صارت وسيلة فعّالة تلجأ إليها المنظّمات الإرهابيّة، وشبكات الإجرام المنظّم، للترويج لأفكارها، وتنفيذ مخطّطاتها، فهذا يعني أنّ لها مخاطر أمنيّة أيضاً؛ لذا تجهد المنظّمات المعنيّة، ومنها الإنتربول، لوضع استراتيجيّات تهدف إلى مكافحة هذه الأعمال التي تهدّد أمن الدول والمجتمعات.

إلى ذلك، بات المجتمع المصغّر، أيّ الأسرة، والعلاقات الاجتماعيّة والعائليّة عرضة للتفتّت؛ لما تنطوي عليه وسائل التواصل الاجتماعيّ من مواقع تفتح أبواباً لرياح التفلّت الأخلاقيّ، كما تبني جُدُراً سميكة أمام التواصل المباشر بين الأفراد، ولا سيّما إذا وصل استخدام الشبكة العنكبوتيّة إلى حدّ الإدمان.

(1)- يراجع: عليويّ، عامر: حروب الميديا، صحيفة «الرأي الأردنية»، 2019/2/21.
(2)- (م.ن).
(3)- (م.ن).
(4)- تقرير نشره موقع «دولتشي فيلي» الألمانيّ.
(5)- (م.ن).

ولا تقتصر سلبيّات الإدمان الإلكترونيّ على الكيان الأسريّ، بل تطال ـ أيضاً ـ الجانب الصحيّ والنفسيّ للشخص؛ فبالإضافة إلى ما يشعر به من إرهاق جسديّ، وقلق، وأرق، واكتئاب، جرّاء الاستخدام المفرط لوسائل التواصل، قد يصل به الأمر إلى حدّ الضرر العقليّ.

وفي هذا الإطار، أجرت مجموعة من الباحثين في جامعة "هيوستن" الأميركيّة دراسة نشرتها صحيفة "جورنال أوف سوشيال أوف كلينيكال"، خلصت إلى أنّ مدمني موقع "فايسبوك" يمكن أن يصابوا بأضرار نفسيّة حادّة، وقال المشرف على الدراسة "ماي لي ستيرز": "إنّ معظم الناس يميلون إلى التفاخر؛ لذلك هم يصوّرون أنفسهم دائماً بأفضل الأحوال مقارنة بالآخرين الأقلّ حظّاً، لكنّ الاستخدام المتواصل للموقع يهبط مزاجهم العام، ويولّد حالة من تدنّي الاحترام للذات، ومع الوقت يشعرون بالأسوأ".

كذلك أجرت جامعة "نونتغهام ترينت" البريطانيّة 43 دراسة خلصت فيها إلى أنّ الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي يعدّ مشكلة عقليّة تتطلّب علاجاً.

أخيراً، ينبغي التذكير بأنّ الغاية مما أشرنا إليه، ليس شرح فوائد "السوشيال ميديا" بقصد الترغيب، ولا الإضاءة على مخاطرها بقصد الترهيب، إنّما الغاية هي وضع الأمور على نصاب الحذر، والفهم الصحيح في طريقة التعامل مع عالم بات بالنسبة إلى ملايين من الناس أمراً واقعاً، وجزءاً من نمط الحياة المعاصرة، وهذا يقتضي أن يتنبّه القيّمون على المؤسّسات التربويّة والفكريّة والثقافية إلى حقيقة ما تحويه الميديا وسائر مواقع التواصل الاجتماعيّ

من مواد يختلط فيها الحسن والقبيح، بما لذلك من أثر كبير على بنية القيم الأخلاقيّة والمعنويّة في مجتمعاتنا.

وعليه، فقد أصبحت الحاجة ماسّة وضروريّة لبلورة علم ميديا إسلاميّة؛ أساسه مكارم الأخلاق النبويّة، تنتظم من خلاله قواعد التعامل والسلوك حيال الموجات الهائلة من المعلومات المشوّهة التي تخترق بيئاتنا الإسلاميّة من كافّة الشرائح والأعمار.

وفي هذا الصدد لا بدّ لنا من الاعتراف بأنّ المهمّة شاقّة، ولكنّها ليست مستحيلة، إذا ما تمّ توظيف الجهود الخلاّقة في هذا الاتجاه، فقد آن الأوان لوضع البرامج والاستراتيجيّات العلميّة الدقيقة لإعادة الاعتبار للبناء الأخلاقيّ في عالم الميديا، ولا سيّما في أوساط الشباب المسلم، حيث تنخرط الغالبيّة العظمى منهم في لعبة التواصل الاجتماعيّ من دون أيّ ضوابط أو معايير قيميّة تحدّدها الجهات المعنيّة.

ولعلّ أبرز الضوابط والمعايير التي ينبغي العمل بها:

- **أولاً:** الجانب الشرعيّ: وهو الالتزام بالأخلاقيّات التي حثَّ عليها الإسلام، والنأي بالنفس عن التصرّفات المسيئة التي نهى عنها. ففضاء الشبكة العنكبوتيّة مفتوح على الأفكار والصور والفيديوهات التي تفسد الذوق والأخلاق، كما فيه أهواء منفلتة من عقالها قد تؤدّي بمن يتّبعها إلى المهالك.

- **ثانياً:** الجانب العقديّ: وهو الحرص على حماية العقيدة الإسلاميّة من هجمة التيارات المعادية، سواء أكانت قادمة من الغرب الاستكباريّ، أم من منظّمات الإرهاب التكفيريّ التي ينوء بها مجتمعنا. وفي المقابل، على شبابنا تحويل هذه المنصّات إلى قواعد إظهار سماحة الدين الإسلاميّ والفكر المتنوّر الذي يواكب حركة التطوّر في المجتمعات على مرّ العصور.

- **ثالثاً:** الجانب النفسيّ: وهو الجانب الذي ينبغي التنبّه إليه جيّداً؛ لما له من انعكاس على توازن الفرد وتفاعله مع المحيطين به من أسرة ومجتمع، فالاستسلام الكلّيّ لما تعرضه وسائل التواصل الاجتماعيّ المختلفة، يجعل الشباب رهائن الأفكار المتلاطمة، عاجزين عن تكوين وجهة نظر خاصّة، كما تجعلهم انطوائيّين غارقين في الكآبة، وغير متفاعلين مع الآخرين.

- **رابعاً:** تعزيز ثقافة التشكيك بيقينيّة الأفكار والصور والأفلام المركَّبة التي تنشر على وسائل التواصل الاجتماعيّ، بوصفها عاملاً أساسًا في الحدّ من عمليّات التضليل.

إنّ هذه الأمور وغيرها مسؤوليّة الشباب أولاً، ومسؤوليّة الجمعيّات الدينيّة والهيئات الرسميّة والأهليّة ثانياً. وبتضافر الجهود واجتماعها نستطيع أن ننأى بشبابنا ومجتمعنا، بعيدًا عن مهاوي الزلل والمعاصي والأخطاء المدمّرة.

قراءة جديدة **لمفهوم الميديا**

حسن الزين
إعلامي وباحث في الدراسات الثقافية ـ لبنان

دراسات الميديا التطبيقيّة:

لقد تجاوز عالم اليوم المفهوم النظريّ الكلاسيكيّ للميديا، وأصبحنا في مجال دراسات علم "الميديا التطبيقيّة" أو "الهندسة الاجتماعيّة" - إنْ صحّ التعبير والترجمة اصطلاحاً -؛ لأنّها دخلت في صميم حياة الفرد المعاصر واجتماعه، وباتت جزءًا من نمط حياة وأسلوب عيش الأجيال الجديدة، وغدت تُشكّل وعيهم وسلوكهم، وخياراتهم، وتصوّراتهم، واستهلاكهم، ونموذجهم الثقافيّ والسياسيّ، وتنتج أزماتهم العقليّة والنفسيّة وتهدّد حاضرهم ومستقبلهم.

واليوم نعيش عصر منصّات التواصل الاجتماعيّ التي أصبحت تُستخدم من قبل 3 مليار شخص؛ أي نصف سكّان الكرة الأرضيّة، وهؤلاء يتفاعلون يوميًّا بما لا يقلّ عن 3 ساعات في الحدّ الأدنى، ويصنعون " فقّاعات تواصليّة"، يظنّ بعض الأشخاص أنّها قضايا، دون تجاهل قدرة هذه المنصّات على الحشد والتعبئة السياسيّة للطاقات الشبابيّة وتوجيهها وتوظيفها، وفي التوظيف تتغلّب الحكومات ومؤسّسات الإعلام التقليديّ على الميديا الجديدة، وتقوم بدمجها بما يحقّق أو يخدم أهدافها السياسيّة والتجاريّة والإعلاميّة.

الأخطر في منصّات الميديا الجديدة هو مرحلة الإدمان على استخدام منصّات التواصل الاجتماعيّ، ما جعل شبابنا وطلّابنا ومراهقينا يعيشون في عالم افتراضيّ اجتماعيّ مركّب وهجين، "أطلق عليه أحد علماء الاجتماع "التواصل الفرديّ - الجمعيّ"، وهنا تكمن الخطورة.

الذكاء الصناعيّ والذكاء العاطفيّ:

ما يُسجّل على بعض الكتب هو إغفالها التركيز على تأثير الميديا في العقل البشريّ وسيكولوجيا ذات المستخدم،

وهويّته وذكائه العاطفيّ، وهو ما اتّجهت نحوه الدراسات الحديثة بتوجيه من الحكومات والجامعات والجمعيّات الأهليّة والمدنيّة، شعوراً منها بخطورة إدمان الميديا على البيئة النفسيّة والذهنيّة والعصبيّة للمستخدمين.

وقد صدر كتاب جديد سلّط الضوء على هذا الموضوع، بدراسات علميّة تحت عنوان «**تغيُّر العقل، كيف تترك التقنيّات الرقميّة بصماتها على أدمغتنا**»، وقد تضمّن مناقشات جادّة لخبراء في مختلف فروع العلوم الطبيّة والعصبيّة وعلوم النفس والاجتماع والتربية، ما يؤكّد الدور المحوريّ للتقنيّات الرقميّة والميديا الجديدة في «تغيير بنية العقل»، والتأثير على ذكائه العاطفيّ، وهو ما نتج عنه ظواهر عديدة، منها: العزلة، والتوحّد، والشعور بالوحدة، والتبلّد الشعوريّ والعاطفيّ، والاكتئاب وما شاكل.

نظرية امتداد المنصّات إلى مكوّنات العقل والهويّة:

نعيش اليوم ثورة على مستوى أبحاث ودراسات سيكولوجيا المستخدم للمنصّات الرقميّة، وثمّة نظريّات جديدة استجدّت على مستوى تفسير علاقة الارتباط بين المستخدم والمنصّة الرقميّة التي انتقلت من وسيط ميديا، إلى امتداد ماديّ أو شبه ماديّ للعقل، يتلاعب بمكوّنات الدماغ وخرائطه، وهو ما تمثّله نظريّة «امتداد الدماغ أو العقل».

فلم يعد ما يسمى «بإدمان الهواتف الذكيّة» مجرّد مشكلة نادرة أو معمليّة بحتة، بل باتت إحدى أكثر الأسباب إثارة للقلق والاهتمام، فبعد عقود على نشوء شركة جوجل **Google**، أصبحت خدمات جوجل جزءًا لا يتجزّأ من حياتنا اليوميّة، ما أدّى إلى تغيير هيكلة بنيتنا الذهنيّة في حدّ ذاتها. وهكذا، امتدّت أدمغتنا إلى الفضاء الإلكترونيّ. في الحقيقة، هذا ليس من وحي الخيال العلميّ، ولكنّه وليد ما يُعرف بفرضيّة «العقل الممتدّ»، وهي

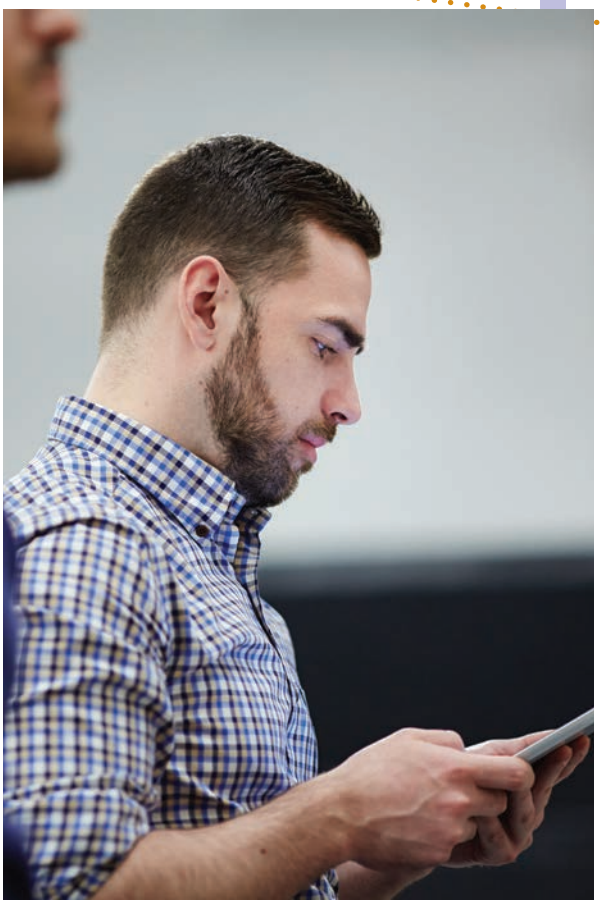

النظريّة المعتمَدَة على نطاق واسع في مجال الفلسفة وعلمي النفس والأعصاب[1].

إنّ اتكالنا المتنامي على خدمات جوجل «المخصّصة»

(1) جوجل بعد 20 سنة- هكذا أضحى محرّك البحث امتدادًا لأدمغتنا، بنيامين كرتس، المصدر: ذي كونفرسايشن، ترجمة موقع نون بوست.

والقائمة على الذكاء الاصطناعيّ، جعلنا نتخلّى عن قدر أكبر من مساحتنا الذهنيّة الشخصيّة لصالح جوجل. وهكذا، **بدأت خصوصيّتنا الفكريّة وقدرتنا على التفكير بحرّيّة، تتلاشى تدريجيًّا.**

عدا عن ذلك، بدأت الدلائل تشير إلى إمكانيّة وجود صلة بين استخدام التكنولوجيا وبعض المشاكل النفسيّة. بعبارة أخرى، ليس من الواضح ما إذا كانت أدمغتنا قادرة على تحمّل الإجهاد الناجم عن توسّع العالم الافتراضيّ، وربما نكون قد اقتربنا من نقطة الانهيار. وقبل هذا البحث، كانت الإجابة المتّفق عليها بين العلماء هي القول إنّ العقل محدود بالجلد والجمجمة (أي يحدّ أداءه الدماغ والجهاز العصبيّ).

وفي هذا الصدد، أشار الخبراء إلى أنّه عند دمج عناصر من البيئة الخارجيّة ضمن طريقة تفكيرنا، يصبح لتلك العناصر الدور الإدراكيّ لأدمغتنا نفسه.

كيف باتت عقولنا متّصلة بغوغل؟

وضع العلماء هذه الفرضيّة قبل ظهور الهواتف الذكيّة والجيل الرابع للشبكات الخلويّة، بالتالي كانت الأمثلة التوضيحيّة المعتمدة في هذا البحث خياليّة نوعًا ما، فعلى سبيل المثال، اعتمد الباحثون مثال الرجل الذي اعتمد على مذكرة في حياته اليوميّة، وجعلها بمثابة الذاكرة الخارجيّة له. لكن كما أوضحت الأبحاث الأخيرة، فإنّ فرضية «العقل الممتد» تمسّ بشكل مباشر هوَسَنا بالهواتف الذكيّة وغيرها من الأجهزة المتّصلة بالويب.

عمومًا، أصبح كثير من الناس أسيرًا للهواتف الذكية منذ الصباح وحتى ساعات متأخّرة من الليل، فبات من الطبيعي اللجوء إلى خدمات جوجل (على غرار محرّك البحث والتقويم والخرائط والمستندات ومساعد الصور وما إلى ذلك). وفي الحقيقة، أضحى اندماجنا الفكريّ مع جوجل واقعًا، حيث تتّكل عقولنا بشكل جزئيّ على خدمات غوغل**Google** .

لكن هل يعدّ هذا مهمًّا فعلًا؟ ونقول في مقام الجواب إنّ ذلك مهمّ فعلًا؛ لأنّ جوجل لم يعد مجرّد أداة معرفيّة سلبيّة، فقد أضحت ترتكز آخر تحديثاتها القائمة على الذكاء الاصطناعيّ والتعلّم الآليّ **على الاقتراحات**. ففي الوقت الراهن، لم تعد خرائط جوجل تكتفي باطلاعنا على كيفيّة بلوغ وجهتنا (سواء أكان سيرًا على الأقدام أو بالسيارة أو بوسائل النقل العامّة)، بل

أصبحت تقدّم لنا اقتراحات حول الأماكن التي قد تنال إعجابنا.

الإدمان أم الاندماج؟

وفقًا للتقارير الأخيرة، يتحقّق مستخدم الهواتف الذكيّة العاديّ في المملكة المتّحدة من هاتفه كلّ 12 دقيقة. وفي الواقع، هناك مجموعة كاملة من التداعيات السلبيّة لهذه الظاهرة على المستوى النفسيّ، حيث يعدّ الاكتئاب والقلق من أبرزها.

في هذه الحالة، مصطلح «إدمان»، حسب رأيي، ليس سوى مجرّد مرادف للاندماج الذي ذكرته سابقًا.

إنّ السبب الحقيقيّ وراء عجز أغلب المستخدمين عن وضع الهواتف الذكيّة والتقنيات الرقميّة جانبًا، **هو أنّهم قاموا بدمج استخدامها في طريقة تفكيرهم اليوميّة.** فقد أضحوا يفكرون من خلالها فعلاً، وبالتالي لا عجب في أن يصبح من الصعب التوقّف عن استخدامها.

وما يؤكّد هذا الأمر بدليل ملموس، هو ما يسببه فقدان الهاتف الذكيّ فجأة من ارتباك ذهنيّ واضطراب نفسيّ، فهو أمر شبيه بخضوع الفرد لجراحة دماغيّة، بدلاً من ذلك، يتعيّن تعلّم التفكير بشكل مختلف من أجل التخلّص من الإدمان والاندماج **واستعادة الصحّة الذهنيّة، والمدارك العقليّة.**

التواصل الاجتماعيّ وإثارة الأنا الفرديّة وروح المقارنة:

إنّ اخطر دراسات الميديا، هي دورها في التلاعب بمكوّنات الأنا الفرديّة، فقد وجدت دراسة أنّ 90% من الجيل الجديد يقولون إنّ وسائل الإعلام الاجتماعيّة تجبرهم على مقارنة أوضاعهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة أو أسلوب حياتهم بأقرانهم، ما يجعل 60% منهم يعبّرون عن عدم اكتفائهم بما يملكون بسبب ما يرونه في وسائل الإعلام الاجتماعيّة؛ لذلك قال 57% منهم إنّهم أنفقوا أموالًا لم يخطّطوا لإنفاقها، عدا عن ميلهم إلى التفاخر بتجاربهم وأغراضهم على منصّات السوشيال ميديا كطريقة للمواكبة العصريّة[1]. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذه المقارنة **تُشعر المتواصل بعدم الاكتفاء، وتزعزع قناعاته بنفسه، وتقلّل من احترامه لذاته،** وقد تجعله في أحيانٍ أخرى غير واثق في قدراته العمليّة لإنجاز مهمّة ما، أو للوصول إلى هدف معيّن، على الرغم من أنّ هذه التصرّفات قد لا تكون واقعيّة أو ملائمة لنمط الحياة الخاصّ به.

(1) طبقة الأثرياء الجدد- مظاهر خدّاعة عزّزتها منصّات التواصل الاجتماعيّ، نور علوان، نون بوست، نشر بتاريخ 20 سبتمبر 2018

التواصل الاجتماعيّ وسلوك القطيع:

من أخطر الظواهر وأطرفها التي عرفت في سوسيولوجيا الجماعات والمجتمعات ما يعرف بظاهرة القطيع أو الحشد Crowed، إذ لا تنطبق ديناميّات الفعل الجمعيّ على مثل هذا النوع من الجماعات، من هنا يصعب التنبّؤ بسلوك الحشد واتجاهاته والمآلات التي ينتهي إليها[1].

يتكوّن الحشد من مجموعة من الأفراد المتنوّعين في الخصائص والأهداف، وليس من المفيد كثيرًا التعرّف على خصائص كلّ فرد على حدة؛ لأنّ خصائص الحشد لا تعادل مجموع خصائص أفراده، **ذلك أنّ شخصيّة الحشد تتكوّن تحت تأثير عوامل أخرى غير خصائص أفراده، إذ تعمل عناصر كامنة مكبوتة داخل الأفراد وعقلهم الباطن بما يشكّل العقل الجمعيّ للحشد، وهذا ما تؤيّده نظريّة التقارب في تكوين الحشود.**

في الختام، نقول للشباب إنّ المنصّات الرقميّة والميديا وسيلة وفرصة، وتهديد في الوقت نفسه، وإذا لم نمتلك المحتوى الذاتيّ، ستملؤنا المنصّات بالفوضى التي تنشرها، وإذا لم نسيطر عليها، ستتحوّل من فرصة إلى تهديد. لذلك أنصح الشباب بأن يبنوا مرجعيّتهم الفكريّة والثقافيّة والتربويّة والروحيّة بعيداً عن هذه المنصّات، وثمّة دور للأهل والمؤسّسات الاجتماعيّة والمرجعيّات الفكريّة في تعبئة طاقات الشباب وأوقاتهم، كي لا تسيطر عليهم منصّات الميديا، وهذا ما سيقلّل من كمّ الأزمات ونوعها التي قد تنتجها لنا، إذا لم نتقِ شرّ تهديدها.

(1) سلوك القطيع في وسائل التواصل الاجتماعيّ، عزّام أبو الحمام، موقع عربيّ 21، نشر بتاريخ 2016/1/6

مواقع التواصل الاجتماعي
وتدمير الاستقلال الفكري والديني

زينب عقيل
باحثة في علوم الإعلام والاتصال ـ لبنان

في أحد أهمّ كتبه عن تحدّيات الإدارة في القرن الواحد والعشرين، يقول الكاتب الأمريكيّ بيتر دراكر Drucker: **"بعد عدّة مئات من السنين، عندما يكتب المؤرّخون عن عصرنا الحاليّ، على الأرجح أنّ أهمّ ما سوف يلحظونه ليس التكنولوجيا ولا الإنترنت ولا التجارة الإلكترونيّة، إنّما التغيّر الجذريّ وغير المسبوق في السلوك الإنسانيّ. لأوّل مرّة في تاريخ البشريّة توجد أعداد كبيرة ومتزايدة من البشر يمتلكون مجموعة واسعة من الخيارات، ويقفون أمام تحدّي إدارة أنفسهم بأنفسهم والمجتمعات مؤهّلة لذلك".**

وبعد عدّة سنوات، نرى أنفسنا ومجتمعاتنا- اليوم- أمام مجموعة هائلة من الخيارات السياسيّة والإعلاميّة والثقافيّة، التي لا يمكن لجهة واحدة سواء أكانت حكومة أو وسيلة إعلام أو منظمة دينيّة، أن تقود على أثرها جمهورًا متنامي الذكاء والمعرفة ومتعدّد الآراء والتوجّهات، كل ذلك يحصل في فضاء مواقع التواصل الاجتماعيّ.

لقد بدأ ذلك الجمهور يتعرّف أكثر على خياراته المتوفّرة، فلا يجد نفسه مجبرًا على أن يستمع إلى أخبار قناة معيّنة وتقاريرها؛ لأنّ الانتقال إلى أخرى بالنسبة إليه هو مجرّد "كبسة زرّ"، وكذا لا يجد المواطن العاديّ نفسه ملزمًا بالانتماء الجغرافيّ لمنظّمة هنا أو لوطن هناك، أو لجماعة، أو حتى لدين.

فمن الممكن أن ينتمي إلى إحدى الآف المنظّمات أو التجمّعات أو الشبكات الإلكترونيّة التي تحيا في الإنترنت، وتنشر فكرها على الشبكة، وتمارس طقوسها الخاصّة، وتمنح منتسبيها الشعور بالانتماء، ويقابلونها بالولاء، فيُلاحظ أنّ قوّة الولاء للوطن الافتراضيّ أقوى من قوّة الولاء للوطن الجغرافيّ في هذا الفضاء المتشابك.

وفي الواقع يمكن القول إنّ هذه التوجّهات الثقافيّة ما زالت في مقتبل عمرها، خاصّة أنّ ثمّة جيلًا قد وُلِدَ لتوّه بين الشبكات العنكبوتيّة الاجتماعيّة، وسوف يبني علاقاته الإلكترونيّة منذ نعومة أظفاره، فمنذ ظهور الشبكة تتشكّل تباعًا تطبيقات وطبيعة اتصال إلكترونيّة (ألعاب، محادثات، دروس...) تكوّن أشكالًا مختلفة للاتصال الفرديّ والجماعيّ والجماهيريّ، وقد تجاوز معظمها الرقابة والعراقيل التي تتعرّض لها الثقافات التقليديّة، كما أنّ العوامل الاقتصاديّة والسياسيّة الراهنة، قد تداخلت بشكل غير مسبوق مع التقنيّة؛ لتجعل من مواقع التواصل الاجتماعيّ قضيّة شائكة جدًّا تؤثّر على الهويّات القوميّة وآليّات عمل الثقافات الدينيّة.

ويمكن تلخيص بعض هذه المتغيّرات بالعناوين الآتية:

الحتميّة التقنيّة-الاجتماعيّة وتغيّر أنماط التفكير والسلوك البشريّ:

يُلاحَظ أنّ تصرّف الأفراد في المجتمع الطبيعيّ ليس هو تمامًا الذي يُرى في مجتمع الإنترنت؛ ذلك أنّ التصرّف الإنترنتيّ يرتبط بأمور أخرى جديدة، منها: تحلّل الفرد من قيود الزمان والمكان، ومن مسؤوليّة وجوده، ومن أدواره الاجتماعيّة، وبالتالي من القيود السياسيّة والدينيّة والأخلاقيّة والقيميّة، الأمر الذي يمنحه قدرًا كبيرًا من الحرّيّة التي ربما لا يتمتّع بها في واقع حياته الطبيعيّة، وهذا التحلّل سيُنتِج مضامين جديدة مختلفة عن تلك التي تُنتَج مع القيود الشخصيّة والزمانيّة والمكانيّة، وبالتالي فإنّ مجتمع الإنترنت بهذه الصورة هو مجتمع اللاتحقّق في كثير من تمثّلاته، ومجتمع التعامل بقدر الانتفاع من التحلّل من قيود كثيرة.

ومن ناحية أخرى، فإنّ ظهور معالم اللامركزة، التي تمكّن الأفراد والجماعات من تأدية أعمالهم وأنشطتهم عبر الإنترنت، ستخلق أنواعًا جديدة من الاهتمامات التي ستفرزها طبيعة الاتصال الجديدة.

وبالتالي فإنّ العقل الجمعيّ الإلكترونيّ الجديد سيؤثّر في العقل الجمعيّ الطبيعيّ الذي قد يُظهِر ضعفًا لناحية إفراز قواه والمحافظة عليها بمستوى عالٍ من الضبط والتحكّم، أو التوجيه الاجتماعيّ العام للجماعات والأفراد.

نزعة الفردانيّة في الفضاء الافتراضيّ لمواقع التواصل:

منذ عصر التنوير، بدأ يتبلور اتجاه يدور حول رفض أن يضحّي الفرد بذاته الخاصّة من أجل النظام الاجتماعيّ العام؛ بنحو تذوب فيه شخصيّته بالهويّة الجَمعيّة، هذه الفكرة أدخلت الحياة البشريّة إلى عصر جديد، تحوّل فيها الإنسان من كائن اجتماعيّ يذوب في الجماعة بمختلف أشكالها، إلى كائن يصنع وجوده الخاصّ ويصوغ كينونته، ما جعله أكثر ميلًا إلى التحرّر من سلطة الثقافة السائدة في المجتمع؛ ذلك أنّ الجمعنة – مقابل الفردانيّة- التي تعرفها المجتمعات التقليديّة، تعني أنّ الفرد صورة طبق الأصل أو نسخة مكرّرة عن شخصيّة العائلة

أو القبيلة التي ينتمي إليها في أفكاره وأسلوب حياته وطبيعة نظرته إلى الأشياء. والفردانيّة تؤكّد مبدأ أصالة الفرد وتفرّده وتميّزه مقابل التماثل والتطابق.

ثمّ أدخل المجتمع الافتراضيّ الفرد في حالة الذاتيّة التي تعتبر واحدة من إفرازات الفردانيّة، حيث ساهمت مواقع التواصل في تنشيط الشعور بالأنا الفرديّة، من خلال ما منحته للفرد من إحساس بقوّة الحضور على مواقع التواصل الاجتماعيّ. فبعد أن كان الفرد (المُستخدِم) يعيش في دائرة ضيّقة لا تكسبه الشعور بالتميّز، دخل إلى عالم تضخّمت فيه ذاته، بفعل عوامل عديدة أهمّها: التحرّر من سلطة الدولة أو العائلة، والقدرة على التعبير عن آرائه وأفكاره بحرّيّة، وتقدير ذاته عبر ما يحصل عليه من إعجابات وتعليقات ومشاركات وغيرها.

وبذلك تكون هذه المنابر قد وجّهت ضربة قويّة إلى الهويّة الجمعيّة من الفضاء الافتراضيّ، وساهمت في انهيار فكرة الجماعة المرجعيّة بمعناها التقليديّ، والتي يحدّدها الإطار الجغرافيّ أو القَبَليّ أو غيرهما، لتحلّ محلّه الجماعة القائمة على أساس الاهتمامات المشتركة. فلم تعد الجغرافيا ولا الانتماء العرقيّ أو الدِّيني أو القَبَليّ... إلخ من أشكال الانتماء التقليديّ هي التي تتحكّم في وجهة الانتماء.

والجدير ذكره أنّ تفكيك الهويّة لا يقتصر على الدين أو الوطن أو القوميّة، بل يتجاوزها إلى الهويّة الفرديّة ذاتها؛ لأنّ المشاركين في المجتمعات الافتراضيّة يتقنّعون في كثير من الأحيان بأسماء مستعارة، وبعضهم له أكثر من حساب بأكثر من هويّة وفق أهدافه التي يريد تحقيقها.

وقد أتاح تفكيك الهويّة الشخصيّة في العالم الافتراضيّ الشعور بعدم الحرج في الكتابة عما يجول في الخاطر ولا في تبادل السباب والشتائم. وحتّى عندما يستخدم هؤلاء أسماءهم الحقيقيّة، لا يشعرون بنفس الحرج أو الارتباك الذي يشعرون به في المواجهات الواقعيّة. وعليه، تعتبر مجتمعات العالم الافتراضيّ فضاءات رحبة مفتوحة للتمرّد والثورة، بدايةً من التمرّد على الخجل والانطواء، وانتهاءً بالتمرّد على الأخلاق العامّة واللياقة واللباقة.

تحوّل أيديولوجيّ ذو توجّه ليبراليّ

يمكن القول إنّ التغيّرات التقنيّة وما نجم عنها من تغيّرات

سيكولوجيّة قد أسهمت في حدوث تغيّر آخر لا يقلّ أهمّيّة عنه، هو التحوّل الإيديولوجيّ الذي بات يترتّب على الفضاءات الرقميّة بحكم المحدّدات النفسيّة، والمعرفيّة، والفكريّة التي

تفرضها تلك التقنيّة. فقد أصبح الجيل الرقميّ يؤمن أكثر من أيّ وقت مضى بمبدأ الحرّيّة الفرديّة، وحرّيّة التعبير، وحرّيّة الاختيار، والأهمّ تعدّد الطروحات. والملاحظ أنّ غالبيّته لم يعد يحتمل أحاديّة الطرح والفكر المنغلق، وفي هذا السياق الاتصاليّ والإعلاميّ باتت مواقع التواصل ذات أهمّيّة قصوى بالنسبة للجيل الرقميّ، بصفتها

فضاءً بديلاً عن الإعلام القديم، فهي منبر مَن لا منبر له في التعبير، ونادٍ للتعارف لمن لا مكان له في نوادي العالم الحقيقيّ، وفضاء لإبراز مختلف أشكال الإبداع الذاتيّ لمَن لم يتسنّ له التعريف بمهاراته في العالم الحقيقيّ، ومكتبة لمن لا كتب وموسوعات في بيته، ومدرسة متعدّدة التخصّصات لمن لا مدرسة له، ومكتب تشغيل لمن لا وظيفة له.

الانتماء إلى المجتمع الرقميّ والتنشئة الاجتماعيّة:

إنّ التحدي الكبير الذي سيشكّله هذا التغيّر لاحقًا على المجتمعات يكمن في تحوّل المنصّات الاجتماعيّة إلى منصّات تنشئة اجتماعيّة لا تنظّم محتوياتها وفقًا لمقتضيات بناء المجتمع الواحد، أو لمقتضيات الحفاظ على تماسك ذلك المجتمع، عبر إنتاج قيم ثقافيّة واجتماعيّة وفكريّة متجانسة، والحرص على توارثها. وبذلك ستُزاحم تلك المنصّات مؤسّسات التنشئة التقليديّة التي تخضع في محدّداتها لتصوّر واضح المعالم والتوجّه والأهداف، بينما تتضارب المحدّدات الرقميّة في معالمها وتوجّهاتها وأهدافها. فالفرد على الإنترنت لا يكون منطلقه المعرفيّ والاجتماعيّ والثقافيّ مجتمعَ الانتماء الحقيقيّ الذي يحتضنه فقط، بل الجماعة الافتراضيّة التي يتأثّر بها عبر مختلف أشكال الزخم الفكريّ والأيديولوجيّ المتداول في مختلف منصّات التواصل بمختلف المرجعيّات الأيديولوجيّة، وبمختلف لغات العالم وثقافاته؛ ما يشكّل تداخلًا بين الفعل الخارجيّ للتنشئة الاجتماعيّة والفعل الداخليّ الذي يُقوّض أهداف هذا الأخير.

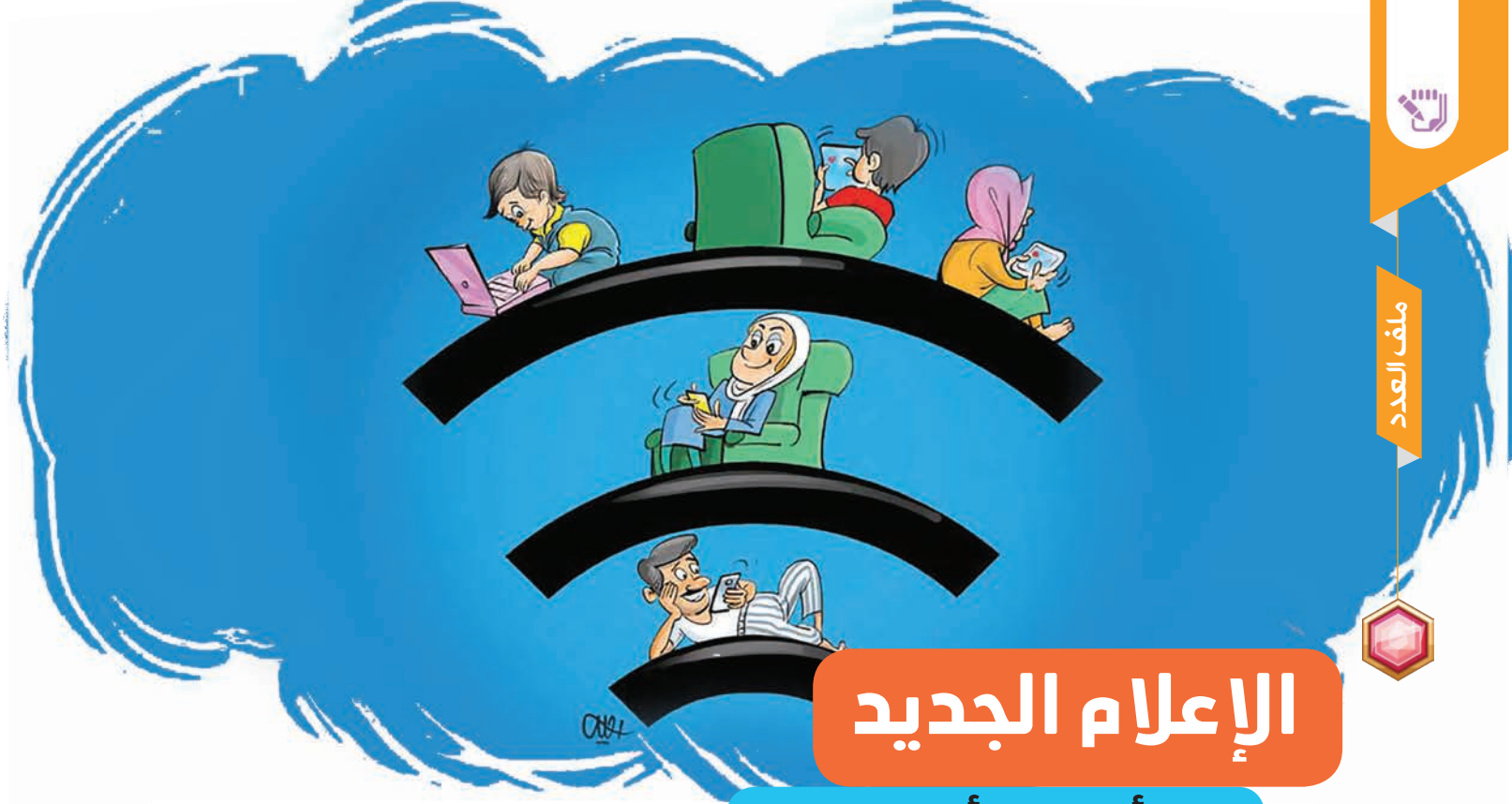

الإعلام الجديد والأمن الأسري ؟!

زهراء السيّد
ماجستير أدب عربي ـ لبنان

يلعب الإعلام دورًا مهمًّا في مجتمعاتنا، وتتفاوت أهمّيّته من حيث تقديم المادّة الإعلاميّة المتنوّعة التي تستهدف فئة محدّدة من الناس.

وقد أصبحت وسائل الإعلام قادرة على تصوير القضايا والأحداث والأشخاص خلافًا للواقع الفعليّ، وهي تعمل على توظيف مفهوم الصورة الذهنيّة، فتعرض جزءًا من الصورة الحقيقيّة عن قضيّة ما وتقدّمها للجمهور على أنّها تمثّل الصورة الحقيقيّة بكامل أجزائها، وبسبب تعرّض المتلقّي المستمرّ لوسائل الإعلام تتكّون لديه صور ذهنيّة متعدّدة عن جملة من القضايا أو الأحداث بناءً على الاتجاهات السياسيّة والفكريّة والثقافيّة لتلك الوسائل.

وفي ظلّ التطوّر الهائل في التكنولوجيا، لم يعد الإعلام مقتصرًا على التلفزيون والراديو والجريدة، إنّما تعدّاه إلى ما يسمّى «الميديا - media" التي شملت المواقع الإلكترونيّة والصحف والمجلّات الرقميّة. وهذه المواقع هي شبكات مجّانيّة متاحة لكلّ شرائح المجتمع، صُمّمت لتسهّل العمل على مستخدميها؛ أيًّا كانت انتماءاتهم أو خلفيّاتهم أو لغاتهم، فأصبحت تلك الشبكات والمواقع وسيلة مهمّة جداً في نقل المعارف وتبادل الخبرات ودعم العلاقات بين مستخدميها، حتى أصبحنا نعاني ممّا يمكن تسميته بـ «إدمان مواقع التواصل الاجتماعيّ»، الأمر الذي كان له تأثيره على المجتمع بشكلٍ عام، وعلى الضبط الاجتماعيّ بشكل خاصّ.

إنّ كلًّا منّا يعي أهمّيّة التواصل باعتباره عمليّة هادفة تقوم على نقل المعلومات وتبادل الآراء والخبرات من أجل تحقيق التفاعل والتفاهم وتبادل الثقافات، سواء أتمّ ذلك بطريقة مباشرة أم غير مباشرة.

وقد أصبحت الشبكات الاجتماعيّة جزءًا لا يتجزّأ من حياة الأفراد،

وخاصّة الشباب منهم؛ لأنّهم الأكثر استخدامًا لمواقعها، فبات يتمّ الاعتماد على العلاقات الافتراضيّة التي تضحّي بالقيم العائليّة والاجتماعيّة.

من هنا قد تُطرح الإشكاليّة الآتية: ما هو أثر الإعلام الجديد على الأمن الأسريّ؟

لا شكّ أنّ الأسرة هي الأساس في بناء المجتمع، فإذا كانت العلاقات بين أفرادها سليمة وتفاعليّة، فسيؤدّي ذلك إلى خلق بيئة إيجابيّة تسهم في تغيير المجتمع بشكل إيجابيّ.

يشير علماء الاجتماع إلى أنّ الإعلام الجديد وبالتحديد مواقع التواصل الاجتماعيّ أثّرت سلباً على العلاقات الأسريّة؛ حيث اتّسعت دائرة التباعد، وغاب الحوار، ونشأت فجوة في الأفكار بين الآباء والأبناء؛ ما أضعف الصلة والتقارب، وأفقد دفء العلاقات في الأسرة لصالح علاقات الصداقة الافتراضيّة، علماً أنّ الأمن والسكينة هما الأساس الذي تنشأ عليه الأسرة كما ورد في الآية الكريمة: ﴿**ومن آياتهِ أنْ خَلقَ لكم من أَنفسِكم أزواجاً لتَسكنوا إليها وجَعل بينَكم مودةً ورحمةً إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون**﴾(سورة الروم، الآية 21).

وفي عصر التقنيات والفضائيّات المفتوحة أصبح الإعلام شريكاً مباشراً للأسرة في عمليّة التنشئة الاجتماعيّة، وقد يكون شريكاً سلبيّاً؛ لأنَّ التنشئة التقليديّة التي تقوم بها الأسرة تعمل وفق نظام اجتماعيّ مرتبط بالدين والعادات والتقاليد، أمّا التنشئة الناتجة عن الإعلام، فهي تنشئة هجينة من ثقافات متعدّدة لا يمكن وضع ضوابط لها أو السيطرة عليها. إنّ هذه الوسائل التكنولوجيّة الجديدة، بما تمتلكه من قدرة هائلة على جذب المتلقّي، كان لها الأ ثر

البالغ في مـخاطبة العقول والأذهان، فقد مكّنت الأفراد من التعبير عن أنفسهم وطرح أفكارهم وتجاربهم وعرض خبراتهم لمن حولهم، كما سمحت لهم بتكوين علاقات جديدة، ولكن في مجتمع افتراضيّ ينخرط فيه كلّ فرد تبعًا لميوله وتوجّهاته.

الإعلام الجديد بين مفيد وخطِر:

على الرغم من وجود إيجابيّات للمواقع الإلكترونيّة تتمثّل في زيادة ثقافة الجمهور وجعله أكثر تفاعلاً مع المحيط، بحيث يكون مواكبًا للتطوّرات والمستجدّات، وهي تساهم في حصول الأفراد على كمٍّ من المعلومات بطريقة سهلة وسريعة.... لكنّها في الوقت نفسه أثّرت سلبًا على الفرد وجعلته أسيرًا لها، ليصبح الهاتف الذكيّ أو الحاسوب أو غيره من الوسائل التي أغرقته في بحر الحياة الافتراضيّة أكثر قربًا إليه من أيّ شيء آخر، وبدل أن تكون العلاقة وطيدة بين الأفراد، أصبحت كذلك بينهم وبين الآلة.

هذا الأمر انعكس بشكل كبيرٍ على الأسرة بعد أن انغرست التقنيّات والتكنولوجيا الحديثة فيها، ما خلق تباعدًا بين أفرادها وزعزع تواصلهم، ومتى تزعزع التواصل القائم على تفاعل الأفراد وفهم احتياجاتهم ونشأتهم بشكل سليم بعيدًا عن الانحراف الخُلقيّ والسلوكيّ، فإنّ المجتمع سيصاب بحالة من التفكّك وضعف التفاعل الاجتماعيّ أيضًا.

لا بدّ من عرض إيجابيّات هذه التقنيّات الحديثة وتوضيح سلبيّاتها التي إذا ما تمّ تجنّبها وفهم ما ينتج عنها، فإنّه من المؤكّد أنّ ذلك سيؤدّي إلى الحفاظ على الأمن الأسريّ القائم بالدرجة الأولى على فئة الشباب؛ لأنّهم الأكثر انخراطًا في عالم التكنولوجيا.

تتمثّل إحدى إيجابيّات الإعلام الجديد في أنّها تقلّل الجهد المطلوب لأداء المهمّات والأعمال، وتسمح للأسر بالمشاركة في العديد من الأنشطة بعد زيادة وقت فراغهم، ومعرفتهم كيفية استثمار هذا الوقت، خاصّة

إذا خصّص جزء منه لتعليم الأطفال أو لتبادل الخبرات وتنمية القدرات داخل المنزل.

لكن هذا لا يعني دمج الوسائل الجديدة بشكل يوميّ في حياة الأسرة؛ لأنّ ذلك سيعرّض التطوّر الفكريّ واللغويّ عند الأفراد للخطر، وسيحدّ من خيالهم، خاصّة إذا أمضوا وقتًا

طويلًا في غرفة منعزلة، وسيتحوّل التواصل بينهم من تواصل أسريّ إلى تواصل اجتماعيّ خارج دائرة الأسرة.

وبحسب دراسات أجراها علماء اجتماع حول أثر الإعلام الاجتماعيّ على الأطفال، تبين أنَّه يسهم في عزلتهم عن أُسرهم، ويصبح التواصل بين أفراد الأسرة قليلاً، وهذا يُضعف دور الآباء والأمّهات في تقديم النصح والإرشاد لأبنائهم، ويقلّل من العلاقات الدافئة والصادقة بينهم، ما يجعل الأبناء يبحثون عن حلول لمشاكلهم خارج إطار الأسرة من خلال الرجوع للأصدقاء والمجموعات الافتراضيّة التي قد تُشَكِّل قدوة سيّئة في بعض الأحيان. وهناك- أيضًا- مشكلة الإدمان على استخدام مواقع التواصل؛ حيث ترى عالمة النفس (كيمبرلي يونج) أنّ استخدامها أكثر من 38 ساعة أسبوعيًّا يعدّ إدمانًا[1].

مخاطر الإعلام الجديد:

يتلخّص تأثير الإعلام في التباعد الأسريّ في الآتي:

ـ تزعزع العلاقات الاجتماعيّة بين أفراد الأسرة.

ـ غياب الجلسات العاطفيّة والودّية بينهم.

ـ جعل الفرد منعزلًا عن أقرانه في مجتمعه الخاص.

ـ تفكّك الروابط الأسريّة وقطع سبل التواصل مع الأقارب.

كما يمكن إدراج الآثار السلبيّة للإعلام على المجتمع بشكلٍ عامّ في العناوين الآتية:

التنشئة الاجتماعيّة: تسعى بعض وسائل الإعلام إلى إزالة بعض القيم وتثبيت أخرى، وذلك من خلال ما تقدّمه من نماذج تتعارض مع متطلّبات الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي تسعى الأسرة لتوفيرها للأبناء.

(1) يراجع: هشام البرجي، تأثير شبكات التواصل على العلاقات الاجتماعيّة في الأسرة www.acrseg.or.2016 .

الاستثارة العاطفيّة: تتعمّد بعض وسائل الإعلام استثارة مشاعر السخط والتمرّد من خلال عرضها وتركيزها على مشاهد العنف وإثارة الغرائز، فيسهل تحكّمها بأفكار الأفراد وأفعالهم.

تقليد ثقافة الآخرين: يميل الشباب من خلال تواصلهم مع أصدقائهم الافتراضيّين إلى محاكاتهم والتأثّر بثقافتهم المغايرة لثقافتهم الأصيلة، ويظهر ذلك من خلال تقليد الملبس والمأكل، إضافة إلى احتمال وقوعهم تحت تأثير ثقافة العنف والابتزاز والتهديد وتشويه صورة الآخر وغير ذلك.

تفشّي ظاهرة الثقافة الهابطة: ويساعد على ذلك اهتمام الشباب- الذين يمثّلون الفئة الأكثر فاعليّة في المجتمع- بالموضة؛ من ملابس، وقصّات شعر، وعمليّات تجميل، والتوجّه إلى تقليد الإعلاميّين، وغيرهم من الشخصيّات المشهورة. والأخطر الاهتمام بالثقافة الغربيّة وتقليدها على حساب الثقافة الملتزمة التي تطوِّر شخصيّة الأفراد وترفع من شأن أمّتهم[1].

أخيراً، تكمن أهمّيّة توعية أفراد في اختيار ما هو مفيد من البرامج، واستخدام الوسائل التكنولوجيّة الجديدة بشكل سليم، إضافة إلى ضرورة مراقبة السلوك لتجنّب التأثيرات السلبيّة التي تهدّد أخلاقيّات الفرد ومعتقداته، وللعمل على حماية الأسرة العربيّة من تأثير ثقافة العولمة من خلال ترسيخ العقيدة في نفوس الأطفال والشباب، سواء أكان على المستوى النظريّ أم العمليّ، وهذا منوط بالأسرة والمدرسة ودور العبادة والنوادي الثقافيّة ووسائل الإعلام. كذلك لا بدّ أن تقوم الأسرة بدورها في توجيه أبنائها نحو استثمار أوقاتهم في العمل التطوعيّ، والقراءة وممارسة الهوايات، بعيداً عن إدمان شبكات التواصل الاجتماعيّ، وأن تعمل على توجيههم نحو استخدام الشبكة العنكبوتيّة لأغراض علميّة تعليميّة؛ منها: إجراء الأبحاث مثلاً؛ لأنّ في ذلك توسيعًا لآفاقهم المعرفيّة. والأهمّ هو غرس القيم الإيجابيّة لدى الأبناء التي تساعد على ضبط سلوكهم أثناء استخدام شبكات التواصل الاجتماعيّ؛ وأهمّها قيمة الانضباط الداخليّ والرقابة الذاتيّة.

في الختام، لا بدّ من الاعتراف بأنّ الإعلام الجديد فرض نفسه، وبات لا بدّ من وجوده، وتأثيره واضح جدّاً، خصوصًا على فئة الشباب؛ لذلك من الضروريّ الالتفات إلى كيفيّة التكيّف معه والاستفادة منه لحماية المجتمع والأسرة من التباعد والتفكّك من خلال نشر الوعي بين الأفراد لتمكينهم من فهم الإعلام وأهدافه وتوجيههم للاستخدام الصحيح والفعّال.

(1) يراجع: أسعيد، محمد توهيل: هذه هي العولمة، ط1، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 2002م، ص398.

عندما يُصاب الشباب

بالهوس!!

د. فضل محمد شحيمي
طبيب نفسيّ وخبير في علاج الإدمان ـ لبنان

تقنيّات خدعت الشعوب:

لا شكّ أن وسائل التواصل الاجتماعيّ مشروع عالميّ، وأداة تستخدمها العولمة من أجل تنفيذ مصالح اقتصاديّة وسياسيّة؛ هدفها إحكام السيطرة على العالم وفرض إرادة الدول المستكبرة على الدول الضعيفة والصغيرة تحت عناوين متعدّدة لا يظهر منها سوى الجانب البرّاق الذي خُدعت به الشعوب واعتبرته إنجازًا علميًّا وحضاريًّا

وقد تلقّفت الأجيال الصغيرة والشابّة هذه الوسائل بفرحٍ شديد، حتى بات حديث الكبار اليوم يتضمّن التفاخر بمدى قدرة أبنائهم وأحفادهم على استعمال هذه التقنيّات، والحال أنّها تسلب النور من عيونهم، وتحرق أعصابهم، وتصرفهم عن كثير من الأعمال المفيدة. والأمر الخطير أنّ مصدّري هذه التقنيّات درسوا احتياجات الأطفال وميولهم، وعرفوا رغبات الشباب، فبدأ البثّ المكّثف، وتمّ إصدار كثير من البرامج المتنوعة، وبدأ الأطفال والشباب يتلقّفونها دون حسيب أو رقيب، وتعالت في الوقت نفسه صرخات موجعة خائفة محذّرة من التمادي في استهلاك هذه التقنيّات.

عندما يُدخل السم بالدسم؟!

وحصل انتقال سريع من العالم الواقعيّ الزاخر بالقيم الأخلاقيّة، والدينيّة، والاجتماعيّة، إلى عالمٍ افتراضيّ مشبوه ومزيّف. وتمّ العمل على دسّ السم بالدسم، وذلك عن طريق التركيز على الجانب العمليّ لما تقدمه وسائل التواصل من فوائد في هذا المجال، وصُرف النظر عن آثارها السلبيّة التي غزت مجتمعاتنا؛ فلحق شبابنا شعاراتها الجوفاء التي خدّرت عقولهم. ومع مرور السنين نلاحظ أنّ مصمّمي هذه الوسائل قد عملوا على تطويرها وتحسين صورتها؛ ليقع الجيل كلّه في معركة السباق المحموم لاقتناء الحديث منها، ووقع شبابنا في مرض جديد أدركته دوائر علم النفس،

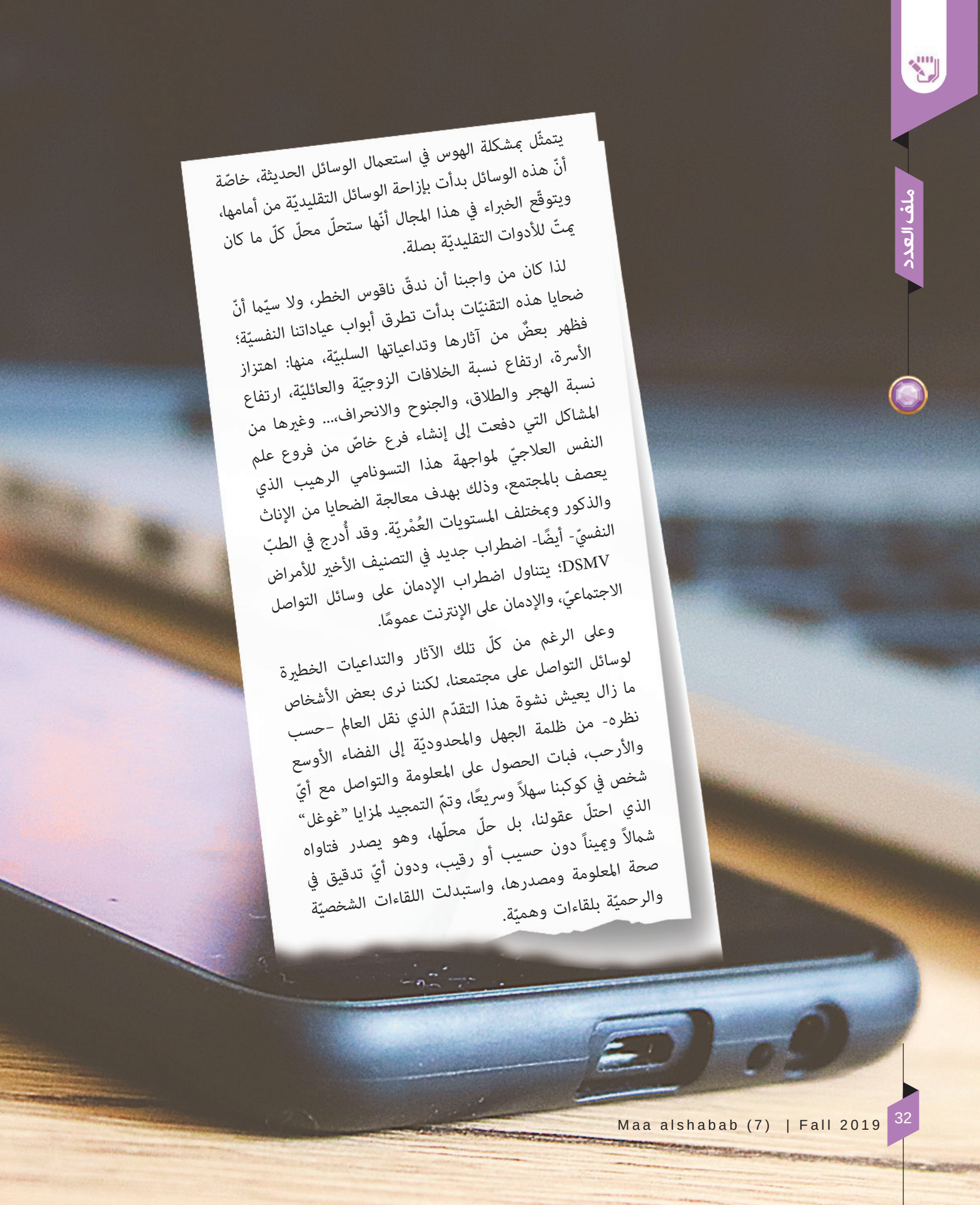

يتمثّل بمشكلة الهوس في استعمال الوسائل الحديثة، خاصّة أنّ هذه الوسائل بدأت بإزاحة الوسائل التقليديّة من أمامها، ويتوقّع الخبراء في هذا المجال أنّها ستحلّ محلّ كلّ ما كان يمتّ للأدوات التقليديّة بصلة.

لذا كان من واجبنا أن ندقّ ناقوس الخطر، ولا سيّما أنّ ضحايا هذه التقنيّات بدأت تطرق أبواب عياداتنا النفسيّة؛ فظهر بعضٌ من آثارها وتداعياتها السلبيّة، منها: اهتزاز الأسرة، ارتفاع نسبة الخلافات الزوجيّة والعائليّة، ارتفاع نسبة الهجر والطلاق، والجنوح والانحراف،... وغيرها من المشاكل التي دفعت إلى إنشاء فرع خاصّ من فروع علم النفس العلاجيّ لمواجهة هذا التسونامي الرهيب الذي يعصف بالمجتمع، وذلك بهدف معالجة الضحايا من الإناث والذكور وبمختلف المستويات العُمْريّة. وقد أُدرج في الطبّ النفسيّ- أيضًا- اضطراب جديد في التصنيف الأخير للأمراض DSMV؛ يتناول اضطراب الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعيّ، والإدمان على الإنترنت عمومًا.

وعلى الرغم من كلّ تلك الآثار والتداعيات الخطيرة لوسائل التواصل على مجتمعنا، لكننا نرى بعض الأشخاص ما زال يعيش نشوة هذا التقدّم الذي نقل العالم -حسب نظره- من ظلمة الجهل والمحدوديّة إلى الفضاء الأوسع والأرحب، فبات الحصول على المعلومة والتواصل مع أيّ شخص في كوكبنا سهلاً وسريعًا، وتمّ التمجيد لمزايا "غوغل" الذي احتلّ عقولنا، بل حلّ محلّها، وهو يصدر فتاواه شمالاً ويميناً دون حسيب أو رقيب، ودون أيّ تدقيق في صحة المعلومة ومصدرها، واستبدلت اللقاءات الشخصيّة والرحميّة بلقاءات وهميّة.

نصائح للشباب...

بعد هذا التنظير الذي قد يصفه عشاق "التواصل الاجتماعيّ" بالمتشائم أو المتخلّف، أودّ أن ألفت الشباب إلى بعض العناوين العامّة التي يحتاج كلّ واحدٍ منها إلى شرح وتفصيل:

ـ لا تستسلموا وتصبحوا عبيداً لهذه الأدوات، وقلّلوا من استعمالها، واحذروا من الإدمان عليها.

ـ عودوا إلى الكتاب؛ فهو يشكو من عزوفكم عنه.

ـ أقيموا مجالس شخصيّة للحوار والحديث، وليستمع الصغير إلى الكبير ليغنيه بخبراته وخلاصة تجاربه.

ـ اسعوا لإقامة شعائر دينكم.

ـ اعلموا أنّ الزيجات التي تمّت بواسطة الإنترنت ووسائل التواصل قد لاقت مضاعفات سلبيّة بمعظمها، وهي تعاني ما تعانيه من آثار الخداع والتزوير والإيهام؛ فتجنّبوا تلك الوسائل في اتخاذ قرارات مصيريّة مثل الزواج.

ـ صلوا أرحامكم بالزيارات الشخصيّة، ولا سيما زيارة الوالدين، ولا تكتفوا بالتواصل معهم عبر تلك الوسائل.

ـ إنّ التسونامي المرعب الذي يجتاح العالم من أقصاه إلى أقصاه غير عابئ بنا؛ فلنتسلّح بالقيم الرفيعة الثابتة؛ فهي التي تبني الأوطان، وليست التقنيّات وتلك الوسائل مَن يبنيها.

ـ إنّ العودة إلى رائحة الحبر، وملامسة الورق، وإعادة العلاقة الوطيدة مع الكتاب المهجور فيها نوعٌ من الرجوع إلى الذات، وإلى الأصالة، والنقاء والصفاء.

أخيرًا، إنّ الشاشات المضيئة التي نتسمّر أمامها لساعات، حتى تكاد تسلب النور من أعيننا لن تكون بديلاً عن تواصلنا المباشر وعن تبادل المشاعر والأحاسيس مع المحيطين بنا، ولن تكون بديلاً عن الشعور بانفعالاتهم التي تُقرأ من خلال لغة الجسد، فإنّ الشعور بالآخر يُدرك عند الإنسان بالفطرة.

آلاء شمس الدين
ماجستير في الإعلام الجديد ـ لبنان

دور الإعلام الجديد في نشر ثقافة الاستهلاك

نمرّر أيدينا بسلاسة على الشاشة الصغيرة، وعيوننا متحجّرة عليها، نتلقّى كمًّا هائلاً من المعلومات والصور التي يتشاركها الناس والمؤسّسات في عالم مترابط، عالم مواقع التواصل الاجتماعيّ. هذه المنصّات ليست منصّات محايدة، ونحن لا نعيش خارجها، فكلّ ما تقدّمه هذه الشاشة الصغيرة من تحفيز، هو رسالة لعقلنا وسلوكنا.

في كلّ مرّة نفتح إحدى منصّات مواقع التواصل الاجتماعيّ تزداد فرصة اطلاعنا على مزيد من الآراء ومزيد من الأشخاص والصور، ما يزيد حاجتنا ورغبتنا للإشباع والتفاعل حتى نشعر بوجودنا، ولا يكون ذلك إلا عبر الاستهلاك. نحن لا نستهلك الوقت فقط، إنّما نستهلك البضائع والحاجات الكماليّة التي يتم التسويق لها على أنّها أساسيّة، وقد بات ذلك أسهل وأسرع، فهناك توجّه كبير من قبل المؤسّسات والشركات للتسويق عبر مواقع التواصل الاجتماعيّ من أجل انخراط أعضاء العالم الافتراضيّ في الاستهلاك.

وتشير الإحصاءات إلى أنّ استراتيجيّات البيع عبر منصّات التواصل قد زاد الاعتماد عليها في عام 2019، حيث إنّ نسبة 40%من الشركات التي شاركت في استطلاع Hootsuite أشارت إلى أنّها تبنّت تنفيذ استراتيجيّات البيع عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ هذا العام. في السابق كانت تشنّ الحروب لفتح أسواق تصريف لبضائع الدول «الكبرى»، أمّا اليوم فإنّ كلّ ما تحتاجه الشركات المتعدّدة الجنسيّات والشركات العربيّة والمحليّة هو الصورة والكلمة، والدعاية والإعلان على مواقع التواصل الاجتماعيّ.

الاستهلاك الرقميّ وعولمة القيم:

يقول «مارك زوكربيرغ»، مؤسّس موقع فايسبوك: **«الفيسبوك لم ينشأ في الأصل ليكون شركة. لقد أوجد لجعل العالم أكثر انفتاحًا واتصالاً».**

ففي ظلّ هيمنة مواقع التواصل الاجتماعيّ، نجد أنفسنا

أمام ثقافة جديدة على واقعنا الاجتماعيّ والاقتصاديّ، ثقافة تفتح رؤى جديدة للعالم، هي ثقافة الاستهلاك بكلّ صورها وأشكالها.

فمنصّات الفيسبوك، والانستاغرام، والتويتر التي جعلت الناس كأنّهم على أرض كبيرة جرداء، تؤسّس لعولمة القيم والثقافة؛ فالإعلانات والصور والفيديوهات التي تعرض بشكل غزير ومكثّف على مواقع التواصل الاجتماعيّ لا تكتفي بتسويق البضائع، بل يتمّ من خلالها تسويق أذواق وأساليب غذائيّة منمّطة، واختيارات في الألبسة مستنسخة عن ثقافات لا تشبهنا، وتعمل بنعومة على ترسيخ إيقاع جديد للحياة، وتحفيز رغبة الاقتناء والاستهلاك.

والاستهلاك هو ركيزة الحياة الجديدة التي تنشرها مواقع التواصل الاجتماعيّ، وقد أصبح هدفًا وأسلوبًا من أساليب التمايز الاجتماعيّ التي فرضتها هذه المواقع، وهذا يؤدّي إلى تدافع الأفراد نحو الاستهلاك بصرف النظر عن حاجتهم الفعليّة. وانتشرت مؤخّرًا ظاهرة «الاستهلاك المظهريّ»، الذي يعني الاستهلاك المفرط للسلع، والترفيه، وعرضها على مواقع التواصل للتباهي بها أمام الآخرين. الأمر الذي يقود معظم الأفراد إلى التوجّه المفرط نحو المتعة الحسّيّة وإلى الترفيه عن طريق استعمال المنتجات المختلفة.

وكلّ ذلك يتلخّص في أبسط محفّز وهو «الرغبة في الشعور بالرضى».

الاستهلاك الرقميّ وتغيّر معايير النجاح:

«أنا أمتلك فأنا الأقوى»

تؤسّس منصّات التواصل الاجتماعيّ مجتمعًا متمركزًا حول الأشياء، فكلّما امتلكنا أكثر أصبحنا أكثر نفوذًا وشهرة. وأكثر ما تروّج له هذه المنصّات هو «التفاهة»؛ لأنها صنعت ظاهرة من «المشاهير» الفارغين وأكثرهم رواجًا «الفاشينستا»؛ أي المرأة التي تتمحور حياتها حول كيفيّة إظهار جمالها من خلال اللباس وأدوات التجميل، وهي إحدى الصرعات الأخيرة في عالم الاستهلاك، وقد تكون من أسوأ أنواع التأثير التي يتمّ استخدامها في عمليّة التسويق، **حيث ينشأ جيل كامل يعيش في عالم التواصل الاجتماعيّ، يعرض حياته ومقتنياته الجديدة -كلّ يوم- على حساباته في مواقع التواصل الاجتماعيّ، ليكسب مزيدًا من المعجبين. وللأسف! تفشّت هذه الظاهرة بين أوساط الشباب والنساء، فلم تعد القدوة** أبدًا للشابات والشباب الذين يصنعون الحدث، وإنّما لمشاهير «التفاهة».

استخدمت الشركات ظاهرة «مشاهير منصّات التواصل الاجتماعيّ» للتسويق لمنتجاتها، فأصبحت وسيلة ترويج مبتكرة للوصول لأكبر شريحة ممكنة من المستهلكين. ويعتبر التسويق عبر «المشاهير» أحد أهمّ توجّهات التسويق خلال السنوات القليلة الماضية، حيث تخطّط 67% من العلامات التجاريّة لزيادة

ميزانيّات الإنفاق على هذا التوجه خلال العام القادم، وخاصّة للترويج عبر الإنستاغرام.

وتكمن خطورة هذا الأمر في تنميط القدوة بصورة مثاليّة، فتصبح حياة هؤلاء «المشاهير» هي الحياة الطبيعيّة والمثاليّة التي يتمنّاها المتابعون على مواقع التواصل الاجتماعيّ. وهؤلاء يسوّقون لأنفسهم بوصفهم شخصيّات ناجحة استطاعت أن تتسلّق سلّم النجاح والشهرة في وقت وجيز. بالتالي تحوّلنا إلى مجتمع استهلاكيّ بامتياز؛ حوّل مفاهيم تحديد معيار النجاح، فالمعيار الوحيد الذي يتمّ الاعتراف به اليوم هو المعيار المادّيّ فقط.

ويرى المحلّلون **أنّ الاستهلاك المفرط يُخمد العقل ويفقده القدرة على التفاعل والتفكير والتحليل، حيث يتعامل الذهن مع المنتجات باستسلام وخضوع، بخلاف الإنتاج الذي يتطلب اتخاذ القرارات والمفاضلة بين الاختيارات والتجريب والمحاولة.**

يتكوّن معنى الثقافة في أيّ مجتمع مما ينتجه، ولكن نحن من نعيش تحت وطأة شهوة الامتلاك والاستهلاك، في أي ثقافة نعيش؟ وما هو إنتاجنا الفعليّ لمجتمعاتنا العربيّة؟ خاصّة بعدما أصبح الاستهلاك الوظيفة العاديّة لحياتنا، وكأنّنا من دون أن نملك لا نكون شيئًا. ولكن من

وضع هذا القانون؟ ولمصلحة مَن يتمّ استنزاف قدراتنا الشرائيّة؟

استطاع الغرب من خلال الإعلام الجديد تصميم مجتمعات قائمة على الاستهلاك، لكنّ الإشباع الدائم لشهوة الاستهلاك وسيلة مدمّرة للثقافة، وخاصّة لنا نحن الشباب. فبدل أن تكون التكنولوجيا وسيلة لخدمة البشريّة، أصبحت مصدر ثقافة استهلاكيّة، وقلّصت هدف وجودنا على قيد الحياة إلى غاية واحدة، هي: الاستهلاك من أجل البقاء.

إنّ وصول المجتمعات والأفراد إلى مستوى رفيع من التطوّر الإنسانيّ، يرتبط بترك شهوة التملّك. ونحن الشباب في هذا المخاض الذي تعيشه البشريّة علينا أن نحدّد هدفنا وحاجتنا بوضوح، وأن نكون فاعلين في شتّى الميادين، ننتج ثقافة تشبهنا من خلال فاعليّتنا في الحياة. فنحن نكون أحسن وأقوى لا بامتلاكنا الأشياء، بل بصناعة أنفسنا ومجتمعاتنا بالمعرفة والإيمان، وأن نكون نحن من يختار ماذا نملك بحسب حاجتنا.

الجمهور وصناعة المحتوى الإعلامي للفيسبوك...

محمد حيدر
ماجستير في علوم الإعلام والاتصال ـ لبنان

تختلف وسائل التواصل الاجتماعيّ في المعايير التي تعتمدها لانتشار المحتوى الإعلاميّ، ففي ما يعتمد اليوتيوب (Youtube) مدّة المشاهدة معيارًا أساس (كلّما ارتفعت مدّة مشاهدة المحتوى الإعلاميّ ازداد انتشاره وظهوره عند الجمهور)، يعتمد الفايسبوك (Facebook) مجموعةً من المعايير، أبرزها وأكثرها تأثيرًا تفاعل الجمهور مع المنشور، فكلّما ازداد التفاعل مع المنشور ازداد انتشاره، وكلّما قلّ التفاعل معه ضعفت إمكانيّة مشاهدته عند الأصدقاء (Friends) والمتابعين (Followers) وغيرهم ممن يستخدم هذا التطبيق[1]. فتفاعل الجمهور على الفايسبوك هو الذي يحيي المنشور أو يميته.

هذا الدور التقنيّ لتفاعل الجمهور مع المحتوى، يولّد انعكاسات فكريّة وثقافيّة ونفسيّة لدى المستخدمين لا يمكن التعرّف عليها إلّا من خلال تحليل آثار التفاعل _ بوصفه معيارًا أساسًا لانتشار المحتوى_ على عمليّة نشر المحتوى الإعلاميّ على الفايسبوك.

(1)عندما يكثر التفاعل مع المنشور يمكن أن يظهر عند غير الأصدقاء والمتابعين للحسابات الشخصيّة أو الصفحات.

فمن هو جمهور الفايسبوك؟

وكيف يؤثّر تفاعل هذا الجمهور في صناعة المحتوى الإعلاميّ وصياغته على الفايسبوك؟

جمهور الفايسبوك؟!

سجّلت بيانات شركة الفايسبوك وجود أكثر من 2.4 مليار حساب فايسبوك فعّال خلال شهر حزيران 2019[2]، وذكرت الشركة في تقريرها أنّ نحو 1.6 مليار مشترك يستعملون تطبيق فايسبوك بشكل يوميّ[3].

(2)-https://newsroom.fb.com/company-info/
(3)- https://newsroom.fb.com/company-info/

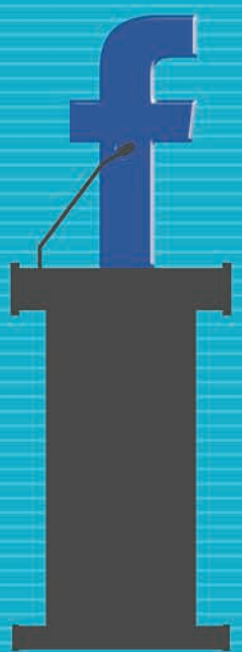

ويتميّز هذا الجمهور بأنّه جمهورٌ عامّ غير تخصّصيّ، يتكوّن عادة من الأقارب والأصدقاء والزملاء، فالمشترك الأبرز في الأصدقاء والمتابعين في الفايسبوك ليس المؤهّلات العلميّة، ولا الاهتمامات الثقافيّة أو الفنيّة أو الرياضيّة، بل المشترك هو الشخص نفسه. هذا المشترك يترك أثرًا كبيرًا على المحتوى المنشور، فبما أنّ الصداقة والمتابعة تتكوّن بناءً على المعرفة الشخصيّة، فإنّ الموضوعات التي ستُنشر ستميل للحديث عن الأمور الشخصيّة، لا عن القضايا العامّة. وبعبارة أخرى إنّ التمركز حول الذات سيكون السمة الأبرز للمحتوى المنشور على منصّة الفايسبوك.

ويبدو أنّ سياسات الشركة تهدف إلى تعزيز هذا الاتجاه عبر التأكيد على العلاقات الشخصيّة وإضعاف العلاقات المبنيّة على الاهتمامات المشتركة. فقد قلّصت إدارة الفايسبوك مطلع عام 2018 انتشار (reach) محتوى الصفحات[1] _التي تُبنى على أساس الاهتمامات المشتركة_، فيما حافظت على حجم انتشار محتوى الحسابات الشخصيّة[2].

التفاعل وآثاره على المحتوى المنشور:

للتفاعل دور رئيس في انتشار المحتوى على الفايسبوك، فكلّ مستخدم يرغب في انتشار المضمون الذي ينتجه، فيفكر _بشكل مباشر أو غير مباشر_ في تحقيق الشروط التي تضمن التفاعل.

فما هي الشروط أو الصفات التي تزيد من التفاعل مع المحتوى المنشور؟

نوع القضايا:

شكّل تفاعل الجمهور مع المحتوى الإعلاميّ تحديًّا كبيرًا لمختلف أنواع العمل الإعلاميّ[3]، وقد اعتمدت وسائل الإعلام على نشر أخبار تثير اهتمام الجمهور من أجل ضمان متابعته وتفاعله مع أخبارها. لكنّ هذه الأخبار شكّلت خطرًا حقيقيًّا على ثقافة المجتمع وأمنه الاجتماعيّ؛ لما تحويه من قيم مضرّة (السلبيّة، الاختلافات، الجرائم، الفساد...)[4].

بات هذا التحدّي أكبر مع وسائل التواصل الاجتماعيّ عمومًا، والفايسبوك خصوصًا؛ لأنّ التفاعل لم يعد ميزة تفاضليّة كما هو الحال مع وسائل الإعلام التقليديّة، بل أصبح ضرورة حيويّة لانتشار المحتوى. ومع ملاحظة الفارق الكبير بين قدرات المؤسّسة الإعلاميّة التقليديّة وبين قدرات الفرد العاديّ الذي يستخدم الفايسبوك، سيتضح ازدياد حاجة الفرد للقيم الخَبَريّة الخطرة اجتماعيًّا وثقافيًّا، فالمحتوى الذي يتضمّن معلومة مثيرة أو اتهامًا، سيلقى تفاعلاً كبيرًا وسينتشر[5]، فيما سيفشل المنشور الجادّ في جذب تفاعل الجمهور.

كذلك سيتسابق المستخدمون إلى نشر الأخبار _خصوصًا المثيرة وغير المتوقّعة_ للحصول على تفاعل من الجمهور، دون التأكّد من صحّتها، ما يؤدّي إلى انتشار الأخبار الكاذبة التي قد تمسّ أحيانًا بأمن المجتمع أو بسمعة بعض الأفراد. وقد شكّلت الأخبار الكاذبة تحدّيًّا كبيرًا لشركة الفايسبوك، ولا زالت إلى

(1) https://newsroom.fb.com/news/201801//news-feed-fyi-bringing-people-closer-together/

(2) لا شكّ أنّ زيادة عائدات الإعلانات كان من الدوافع الأساس وراء تخفيض انتشار الصفحات، لكنّه يصبّ حتمًا في خانة تعزيز العلاقات الشخصيّة بدل العلاقات القائمة على الاهتمامات المشتركة.

(3) بدءًا من الصحافة المكتوبة وصولاً إلى الصحافة الالكترونيّة ووسائل التواصل الاجتماعيّ.

(4) انظر: القرعاويّ، حارث، وآخرون، الإعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2013.

(5) يعلن الفايسبوك في سياساته رفضه وتصدّيه للمحتوى الذي يروّج خطاب الكراهيّة، أو يروّج للعنف ودعم الإرهاب، أو يهدف إلى تضليل الرأي العام، لكنّه يطبّق هذه المعايير بطريقة سياسيّة متحيّزة.

الآن عاجزة عن مواجهته، فعلى سبيل المثال حظي أحد الأخبار الكاذبة عام 2018 بأكثر من مليونين وثلاثمئة ألف قراءة[1].

من ناحية أخرى فإنّ خوارزميّات الفايسبوك تنظر إلى التفاعل بشكل تقنيّ بعيدًا عن محتواه، فالتعليق (comment) المؤيّد هو تفاعل يزيد من انتشار المحتوى، وكذلك التعليق الرافض أو المستهجِن هو تفاعل يزيد من انتشار المحتوى، بالتالي فإنّ المحتوى الذي يستطيع أن يخلق جدالاً ونقاشًا سيحصل على تفاعل كبير وانتشار واسع، علمًا بأنّه من المستحيل مناقشة أيّ فكرة مناقشة علميّة عبر التعليقات.

ومن الأمور التي تزيد من تفاعل الجمهور مع المحتوى هو اعتماد الهاشتاغ (Hashtag)، فعندما تنشر عن موضوع يتداوله الجمهور سترتفع فرص ظهور منشورك عند الآخرين. لكن تبقى المسألة في قدرة الفرد على صناعة الهاشتاغ الذي يعبّر عن همومه وتطلّعاته، أو الانسياق وراء هاشتاغ يفرض عليه عمليًّا.

السطحيّة:

في دراسة تحليليّة أُجريت على مضمون 777 مليون منشور على صفحات الفايسبوك عام 2018 تبيّن أنّ أكثر المنشورات رواجًا هي التي لا يتجاوز عدد أحرفها الخمسين[2]. إذًا فالتفاعل يرتبط بقلّة عدد الكلمات، والمنشورات الأكثر تفاعلاً هي الأقلّ كلامًا.

من هنا يولد تحدٍّ كبير أمام مستخدم الفايسبوك، وهو القدرة على صياغة محتوى جاذب للجمهور ولا يحوي كثيرًا من الكلمات، وهذا ما يتطلّب قدرة تعبير عالية جدًّا، وإجادة في استخدام اللغة، ومعرفة طريقة ترتيب الكلمات بشكلٍ مؤثّر.

من ناحية أخرى يشكّل قلّة عدد الكلمات عائقًا أمام عرض الأفكار _خصوصًا العميقة منها_ وفهمها. لذا يكثر في الفايسبوك الفهم الخاطئ للمحتوى، ما يساهم في إثارة نقاشات وتبادل اتهامات لا معنى لها لولا سوء الفهم.

وبما أن أغلب مستخدمي الفايسبوك لا يتقنون أساليب التعبير، ولصعوبة التعبير عن الأفكار المهمّة والعميقة، يصبح الخطاب الرائج على الفايسبوك هو الخطاب السطحيّ غير العميق. وفي ظلّ الاستخدام الطويل والمتكرّر للفايسبوك يؤثّر نوع الخطاب على طريقة تفكير من يستخدم الفايسبوك، ويصبح التفكير العميق أكثر صعوبة.

الصورة:

تطغى الصور على الفايسبوك، فقلّما ينشر محتوى

(1)-https://www.socialmediatoday.com/news/the-top-10-fake-news-articles-on-facebook-in-2018-infographic/545165/

(2)- https://www.socialmediatoday.com/news/new-report-looks-at-optimal-facebook-posting-practices-in-2019545233//

من دون صور، فالمنصّة بطبيعتها منصّة بصريّة، وتصفّحها يعتمد بشكل أساس على ملاحظة الصورة أوّلاً والنصّ تاليًا. وقد بيّنت الدراسات أنّ التفاعل مع المنشورات التي تحوي صورًا هو أكثر بأضعاف من تلك التي تحوي نصوصًا فقط.

إذًا الصورة ضرورة لزيادة التفاعل وانتشار المحتوى، لكنّ التحدّي يكمن في إمكانيّة العثور على الصورة المناسبة، فالمستخدم العادي يجد سهولة في إنتاج ونشر صور شخصيّة أو عائليّة[1]، لكنّه يجد صعوبة كبيرة في إيجاد أو إنتاج صور مناسبة للمواضيع الاجتماعيّة والتربويّة والتاريخيّة؛ لذا يضطر إلى استيراد الصورة من مواقع أجنبيّة، وعادة ما تحمل الصورة رموزًا ثقافيّة وفكريّة مكثّفة.

وفي الإطار نفسه كشفت دراسة تحليليّة أنّ الفيديو هو الأكثر تفاعلاً على وسائل التواصل الاجتماعيّ[2]، لكنّ المشكلة هي في صعوبة إنتاج المستخدم العادي لفيديو جيّد إعدادًا وتنفيذًا، لذا يتحوّل إلى مستهلك بدل أن يكون منتجًا فعّالاً.

في مقابل هذه التحدّيات البصريّة، يتيح التطوّر التكنولوجيّ عبر التطبيقات المجانيّة على الهواتف الخلويّة فرصة كبيرة لكلّ مستخدم ليتمكّن من إنتاج محتوى بصريّ جيّد ومفيد.

أخيرًا، لكلّ ثورة وعدٌ، ووعد ثورة التواصل الاجتماعيّ كان تحرير الفرد من سلطة وسائل الإعلام التقليديّة، وإعطائه منبرًا خاصًّا يستطيع من خلاله التعبير عن آرائه بحرّيّة واستقلاليّة، لكن يبدو أنّ الخصائص التقنيّة في وسائل التواصل الاجتماعيّ- ومنها التفاعل- يفرض تحدّيّات في المضمون والشكل قد تعيد الفرد إلى مستهلك للمحتوى الإعلاميّ بدل أن يكون منتجًا له، أو أنّها بالحدّ الأدنى تفرض عليه قيودًا قد تسلبه حرّيّته واستقلاله.

وتجدر الإشارة إلى أنّ لشكل التفاعل آثار نفسيّة وثقافيّة كبيرة، وقد أشارت مجموعة من الدراسات إلى خطورة التفاعل عبر الإعجاب؛ لما يسببه من زهوّ بالنفس ونرجسيّة، بل حذّر بعضها من تسببه بالإدمان الإلكترونيّ، والآن تدرس شركة الفايسبوك بجديّة إلغاء خيار الإعجاب من منصّتها[3].

(1)- بعض الدراسات تعتبر الصور الشخصيّة عاملًا رئيسًا في شيوع النرجسيّة وسوء الأداء الاجتماعيّ، انظر: chrostopher carpenter, Narcissism on facebook: self promotional and antisocial behavior.

(2)- https://www.socialmediatoday.com.

(3)- https://www.youtube.com/watch?v=91HL2k-6ijM

هل تعيد الإنترنت تشكيلَنا؟

علي أحمد
إعلامي وأستاذ جامعي ـ لبنان

لا شكّ أنّ شبكة الإنترنت فتحت بابًا واسعًا لمعلومات هائلة، زخمٌ هائلٌ من المعلومات والأخبار والمستجدّات تصل إلينا يوميًّا، وكلّها عبر جهاز صغير لا يتجاوز حجمه كفّ اليد، لقد بات العالم- فعلاً- بين أيدينا، **لكن ماذا نريد نحن من هذا العالم؟**

إنّ تجاهل الإجابة عن هذا السؤال يشبه الوقوف في مصعد دون أن تقرّر إلى أين ستذهب، إذا طلبه أحد للأعلى صعدت، وإذا طلبه أحد للأسفل نزلت.

وفي مجتمع "رقميٍّ" باتت تحكمه قيمه الخاصّة به، أصبح السؤال عن مصير قيمنا ملحًّا، هل يا ترى هو العداء الموروث لكلّ جديد؟ حيث ينقسم الناس إلى قسمين: قسم يعيش دور "المنبهر" إلى أقصاه، وقسم يعادي الجديد إلى حدّ اعتباره مؤامرة، ربما من مخلوقات فضائيّة. ولا بدّ في مقام الجواب أن نتابع المعطيات العلميّة ونقارنها بتجاربنا الملموسة.

أمّا في ما يرتبط بالتأثيرات النفسيّة والعقليّة، فإنّ الإحصاءات اليوم تكاد تُجمع بأنّ عليك التضحية بشيء من صحتك النفسيّة والعقليّة عند استخدام العالم الرقميّ، وفي أحسن الأحوال عليك أن تختار بعد كلّ استخدام لهذا العالم وقتًا تخصّصه لتعويض صحتك العقليّة والجسدية والنفسيّة. والحديث عن مرور سليم في العالم الرقميّ أصبح من الماضي، والخيار يعود إليك...؟!

تأمّل واحذر...

يقوم دماغنا بإفراز مجموعة من الهرمونات خلال التعامل مع الأحداث، وأحد أبرز المؤثّرات التي يتعرّض لها اليوم هي العالم الرقميّ، وأحد أخطر هذه الهرمونات هو الدوبامين، حيث يعدّ محفّزًا لاكتساب العادات الجديدة، هذا في الحالات الطبيعيّة، لكنّه حين يتجاوز المعدّلات الطبيعيّة، فإنّه يسبّب الإدمان، وهذا ما تفعله بعض التطبيقات والألعاب، خصوصًا تلك التي لا تقدّم إلّا المتعة الآنيّة، دون تحفيز التفكير أو دون عمل جماعيّ، تمامًا مثل لعبة كاندي كراش، وقد جرى تصميم مواقع التواصل الاجتماعيّ تحديدًا لتحفز الدوبامين، عبر تقديم جرعات من المتعة اللحظيّة تشبه تناول حبوب "الهلوسة" ينتهي مفعولها سريعًا، فيطلب الدماغ المزيد.

حسنًا، سنرتدي الآن قبّعة التخفّي، وسنذهب للتجول في البيوت، لن يرانا أحد لكنّنا سنرى كلّ شيء، صمت مطبق يلف المكان، لقد أصبح الأطفال هادئين جدًا، لم يعودوا مزعجين طالما الأجهزة الذكيّة بين أيديهم، لكن ماذا عن آثار ذلك نفسيًّا وجسديًّا؟

تشير توصيات مؤتمر أطبّاء الأطفال العالميّ 2017 إلى أنّه يمنع منعًا باتًّا استخدام الشاشات الذكيّة للأطفال تحت السنتين؛ لما لذلك من تأثير سلبيّ على نموّهم النفسيّ والجسديّ السليم، ولا يحبّذ استخدامها لفترات طويلة لمن هم أكبر سنًّا. وحول الهدوء البالغ الذي يسود الأُسر اليوم، فإنّ ذلك لا يبشّر بالخير، ففي الوقت الذي تعدّ فيه المشاحنة نتيجة طبيعيّة للاقتراب، قد لا يعدّ غياب المشاحنات كلّيًّا أمرًا سليمًا، فقد أشارت الدراسات إلى أنّ المشاحنات علامة الزواج السعيد والناجح! ويُقصَد بالمشاحنات هنا تلك الطفيفة منها التي تعدّ جزءًا أساسيًّا من عمليّة التواصل والاختلاف، وتمهّد لحالة أعمق من التكاتف داخل الأسر.

وطالما أنّ المشاحنة تعدّ صوتًا للحبّ، ألا يعدّ الصمت الطويل داخل الأسرة، ناقوس خطر؟ حيث تكون الأجساد متقاربة والقلوب متباعدة؟

استعدّ للقيام بجولة... ثمّ قرّر

يشير هال إلرود في كتابه **"معجزة الصباح"**، الذي جمع فيه العادات الصباحيّة المشتركة بين أبرز الناجحين إلى أنّ أهمّها كان الاستيقاظ باكرًا، فضلاً عن التأمّل (أو الصلاة مثلاً)، وأشار إلى عادة مهمّة جدًّا هي تأكيد الرسالة الشخصيّة في الحياة (هويتك، وأهدافك). وذكَر الكاتب أنّ هذا الفعل يمنع من الانجراف الأعمى، ويمنح صاحبه- أيضًا- البصيرة والتحكّم، والمسؤوليّة. والنتيجة الطبيعيّة لذلك ستكون "النجاح" والإنجاز والإبداع.

لكن إذا كنّا نغفو ونصحو على مواقع التواصل لنتفقّد عدد الإعجابات وردود فعل الآخرين تجاهنا، فأيّ هوية هذه التي يتمّ صقلها؟ وأيّ نجاح؟

مهلاً لم تنتهِ جولتنا... سوف نكمل لنرى ماذا تفعل الإنترنت في عقولنا؟

لنكمل جولتنا، راقب أصابع المتصفّحين للهواتف، تكاد لا تثبت، تمسح الشاشة صعودًا وهبوطًا بسرعة؛ وقد أشارت

بعض الدراسات إلى أنّه إذا كان صمود المستخدم ليشاهد فيديو على يوتيوب هو دقائق قليلة، فإنّ صموده أمام منشور معيّن على فيسبوك هو لثوانٍ فقط. والدليل هو وضع المنشورات المطولة على الفيسبوك المثير للشفقة. هذه عمليّة تغيّر ممنهج في العقل، لن تجد متصفّحًا مدمنًا على مواقع التواصل ومحبًّا للقراءة، هذان الأمران لا يجتمعان في قلب واحد، والسبب ليس فقط التهام مواقع التواصل لوقت المستخدمين، بل إنّ سبب هجران مدمني مواقع التواصل للمطالعة هو أنّ إطالة استخدام الإنترنت تقوم بإعادة تشكيل دماغك بالمعنى الحرفيّ

للكلمة، فتدمن التشتّت وفقدان القدرة على التركيز حتى حين تكون بعيدًا عن الإنترنت.

هناك كثير من المشاريع والأهداف التي يطمح الشباب لتحقيقها، وقد لا تتطلّب منهم إلّا مجهودًا لوقت قليل، لكن جزءًا كبيرًا منهم لا يستطيع الصمود لساعة كاملة على مشروع أو مهمّة واحدة، أو تخصيص ساعة يوميًّا لمشروعهم والالتزام بذلك، وذلك بسبب إدمان التشتت وسرعة الملل، وكثيرون يتفقّدون هواتفهم خلال العمل بشكل تلقائيّ لا إراديّ، وقد أشارت الدراسات إلى أنّ مجرّد وجود الهاتف الذكيّ قريبًا من الشخص يعتبر من المشتّتات.

كما يشير نيكولاس كار في كتابه "**ماذا تفعل الإنترنت في عقولنا؟** المناطق الضحلة The shallows"، ويقصد نيكولاس بالأماكن الضحلة الأماكن غير العميقة في المستنقعات والبحيرات، ويشير إلى أنّ هذا هو ما فعلته الإنترنت في عقولنا، حيث برمَجَتها على التفكير السطحيّ، بسبب طبيعة المنشورات وسرعتها وتنوّعها دون إفساح المجال للتركيز والتعمّق فيها، حتى المقالة المفيدة على مواقع التواصل لن تعطينا إلّا خلاصة بسيطة، بخلاف قراءة كتاب كامل حول أمر ما، وهو الذي يحفّز العقل للتعمق وحفظ المعلومات. وهذا الأمر منطقيّ إذا ما أخذنا صفة أساسيّة يتمتّع بها دماغنا، وهي المرونة العصبيّة، التي تقوّي العقد العصبيّة للأفعال التي نقوم بها بكثرة وتضعف العقد العصبيّة للأمور التي نهملها.

هل تريد المزيد؟ ما رأيك بجولة صغيرة على مواقع التواصل؟

حسنًا، ها نحن نفتح حساب فيسبوك، والأصدقاء الفيسبوكيّون قد نشروا ما لديهم، كلّ شيء هناك يستفزّك لتتكلّم، حتى فيسبوك يستقبلك بعبارة "فلان بماذا تفكر؟" المحتال يحقّق معنا بتذاكٍ، يريدنا أن نقول له كلّ شيء، شعورنا، همومنا، نقاط ضعفنا وقوّتنا، نوعٌ من التعرّي الفكريّ والنفسيّ؛ "ماذا تفكّر الآن" وماذا تشعر هو الأمر الوحيد الذي تستطيع الإبقاء عليه مستورًا ولو اجتمعت قوّة العالم لكشفه، لكن الفيسبوك يستدرجك للانكشاف، جرعة صغيرة من الدوبامين يعطيها لك، خمسون إعجابًا، مئة إعجاب، لقد بات لديك كثير من المعجبين، هيا قل أكثر، اكشف المزيد..

يقول "دايفيد كارول" وهو أستاذ في تصميم الوسائط الإعلاميّة media design ومشارك في إعداد الوثائقيّ الشهير "الاختراق العظيم The great hack" : "كنت أدرّس الإعلام

الرقميّ وبناء التطبيقات، وعرفت أنّ البيانات المرتبطة بنشاطنا على الإنترنت لم تكن تتبخّر.. وإذ تعمّقت في البحث أدركت أنّ آثارنا الرقميّة هذه تُجمع وتُحفظ.. أصبحنا الآن السلعة، ولكنّنا كنّا مغرمين بهدية التواصل المجانيّ هذه لدرجة أنّه لم يهتمّ أحد بقراءة الشروط والأحكام* "Terms and conditions".

وهذا يطرح سؤالاً بقوّة: هل نحن أحرار حقًّا على الإنترنت؟ هل يشكّل العالم الرقميّ في الحقيقة مساحة الحرّيّة التي يبدو عليها؟ هل ثمّة من يؤثّر على توجّهاتنا السياسيّة وخياراتنا الانتخابيّة؟ ربما يأتي الجواب صادمًا لكثير من المنبهرين بحفلة التواصل الاجتماعيّ هذه، إذا ما عرفوا أنّ خصوصيّتهم على الإنترنت صفر، وأنّ بياناتهم تستخدم للتأثير على آرائهم وفي توجيههم،

ويضيف دايفيد كارول: "إنّ جميع تفاعلاتي، استخدامي لبطاقتي الائتمانيّة، وأبحاثي على الإنترنت، ومواقعي وإعجاباتي تُجمع كلّها لحظة قيامي بها وتُرفق بهويّتي، ما يمنح الشاري (يقصد الجهة التي ستشتري هذه المعلومات من الشركة الأمّ) ولوجًا مباشرًا إلى نبضي العاطفيّ، وإذ يتسلّح الشارون بهذه المعلومات يتنافسون لجذب انتباهي، فيغذّونني بدفق ثابت من المضمون المصمّم خصيصًا لي، ولا يراه سواي، وهذا صحيح ويحدث مع كلٍّ منّا، ما يعجبني، ما أشعره، ما يلفت انتباهي، وما هي حدودي وما يلزم كي أتخطاها"!

يعود الأمر في النهاية إذًا للقيَم التي نقرّر تبنّيها، قد لا يكون قرار التخلّي عن الإنترنت منطقيًّا، لكن كلّ وقت نقضيه هناك يتطلّب مجهودًا بالمقابل للحفاظ على أنشطتنا السليمة، ولا سيّما على مستوى عمق التفكير، وعمق علاقاتنا. لكي لا نكون نشطاء جدًّا على مواقع التواصل، لكن كما قال مصطفى محمود: أقلّ رحمة، أقلّ مودة، أقلّ عطفًا، أقلّ شهامة، أقلّ مروءة وأقلّ صفاءً من الإنسان المتخلّف.

لذوي الاحتياجات تربية خاصّة...

زينب حسن الهادي
مجازة في التربية المختصّة ـ لبنان

قد يخفى على كثير من الناس معنى "التربية المختصة"، وقد يجهل آخرون ارتباطه بشكلٍ أساس بذوي الاحتياجات الخاصّة، لكن ما يؤسف له أنّ بعض الأفراد والمؤسّسات لا تتقبّل هذه الحالات، ولا ترى نفسها معنيّة باستقبالهم ودعمهم.

فمَن هم "ذوو الاحتياجات الخاصّة"؟ وما هو واجب الأهل والمربّين تجاههم؟

وما المقصود بـ التربية المختصّة؟ وإلى ماذا تهدف؟

مَن هم "ذوو الاحتياجات الخاصّة"؟

ثمّة اتّفاق عامّ بين الأطباء والمربين ومقدّمي الخدمات المجتمعيّة على أنّ مُصطَلح «ذوي الاحتياجات الخاصّة» استُخدم تسميةً لمجموعة من الأشخاص الذين لا يستطيعون مُمارسة حياتهم بشكل طبيعيّ دون تقديم رعايةٍ خاصّة؛ نتيجةَ وجود قصور فكريّ، أو عصبيّ، أو حسّيّ، أو مادّيّ، أو نتيجةَ مزيج من هذه الحالات كلّها بشكلٍ دائم. وهؤلاء الأفراد بحاجة إلى خدمات تفوق الخدمة المُقدّمة لأقرانهم في العمر نفسه.

وقد عَرَّفَت هيئة الأمم المُتّحدة ذوي الاحتياجات الخاصّة بأنّهم الأشخاص الذين يُعانون حالة دائمة من الاعتلال الفيزيائيّ أو العقليّ في التّعامل مع مُختلف المُعوّقات والحواجز والبيئات، ما يَمنعهم من المُشاركة الكاملة والفعّالة في المُجتمع بالشّكل الذي يضعهم على قَدَم المُساواة مع الآخرين.

أمّا مُنظّمة الصحّة العالميّة فأشارت إلى أنّ الإعاقة مُصطلح جامع يضمّ تحت مِظلّته الأشكال المُختلفة للاعتلالات أو الاختلالات العضويّة، ومَحدوديّة النّشاط، والقيود التي تَحدّ من المُشاركة الفاعلة[1].

فئات ذوي الاحتياجات الخاصّة:

يُقسم ذوو الاحتياجات الخاصّة إلى ثلاث عشرة فئة، هي:

1ـ الإعاقة العقليّة: ويصاحبها خلل واضح في السلوك التكيفيّ، ويظهر في مراحل العمر النمائيّة منذ الميلاد وحتى 18 سنة.

2ـ الإعاقة البصريّة: حالة يفقد فيها الشخص قدرته على استخدام حاسة البصر بكفاءة؛ ما يؤثّر على أدائه.

(1) https://mawdoo3.com

3ـ الإعاقة السمعيّة: وهي حالة مرَضيّة تحصل عندما يعجز الجهاز السمعيّ عند الفرد عن القيام بوظائفه.

4ـ الاضطرابات الانفعاليّة والسلوكيّة: تصف حالة مجموعة من الأطفال الذين يُظهِرون مجموعة كبيرة من السلوكيّات غير السويّة، والتي يتعذّر تفسيرها بمتغيّرات معرفيّة أو حسيّة أو اجتماعيّة.

5ـ الإعاقة الحركيّة: الناتجة عن عيوب بدنيّة أو جسميّة، وهذه العيوب متعلّقة بالعظام والمفاصل والعضلات.

6ـ صعوبات التعلّم: حالة ينتج عنها تدنٍّ مستمر في التحصيل الأكاديميّ للتلميذ مقارنة مع زملائه في الصف الدراسيّ، يظهر التدنّي في مهارة أو أكثر من مهارات التعلّم المختلفة (القراءة، الكتابة، المهارات الحسابيّة،...).

7ـ اضطرابات التواصل: وعي اضطرابات في التعبير أو اللفظ أو قواعد اللغة أو الصوت.

8ـ الموهبة والتفوّق: والفرق بينهما أنّ الشخص الموهوب يملك بعض القدرات الخاصّه بشكلٍ مميّز. أمّا المتفوّق عقليّاً، فهو الشخص الذي وصل في أدائه إلى مستوى أعلى من الأشخاص العاديّين في مجال من المجالات التي تعبّر عن المستوى العقليّ الوظيفيّ للفرد.

9ـ التوحّد: اضطراب تظهر أعراضه في الغالب عند الأطفال قبل سنّ الثالثة من العمر، ويؤثّر على نشأتهم وتطوّرهم، فيعانون من صعوبات في النطق، وفي المهارات الاجتماعيّة.

10ـ الإعاقة الصحّيّة: تحدّ من قدرة الفرد على استخدام جسمه للقيام بالوظائف الحياتيّة اليوميّة بشكل مستقلّ وعاديّ. وتُصنّف الإعاقات الجسميّة والصحّيّة إلى ثلاث فئات رئيسة، هي:

أ. الاضطرابات العصبيّة.

ب. الاضطرابات العضليّة / العظميّة.

ج. الاضطرابات الصحّيّة المزمنة.

11ـ الإعاقة الحسّيّة المزدوجة: وهي إعاقة سمعيّة بصريّة.

12ـ الإعاقات المتعدّدة: مثل: الإعاقة الحسّيّة المصاحبة للإعاقة الحركيّة.

13ـ قصور الانتباه وفرط الحركة: وهي حالة مزمنة تصيب ملايين الأطفال، وتلازمهم حتى في مرحلة البلوغ.

التربية المختصّة:

يقصد بها تربية وتعليم الأفراد الذين لا يستطيعون الدراسة أو لا يتأقلمون في برامج التعليم العام (العاديّ) دون تعديلات في المنهج أو الوسائل أو طرق التعليم، أو دون مراعاة ظروفهم. ووظيفة التربية المختصّة تقديم مجموعة من البرامج والخطط والاستراتيجيّات المصمّمة خصيصاً لتلبية الاحتياجات الخاصّة بالأطفال غير العاديّين، وتعتمد هذه التربية على طرائق تدريس، وأدوات وتجهيزات ومعدّات خاصّة، بالإضافة إلى خدمات مساندة.

أهداف التربية المختصّة:

1ـ التعرّف إلى الأطفال غير العاديّين، وذلك من خلال أدوات القياس والتشخيص المناسبة لكلّ فئة.

2ـ إعداد البرامج التعليميّة لكلّ فئة من فئات التربية الخاصّة.

3ـ إعداد طرائق التدريس لكلّ فئة من فئات التربية الخاصّة، وذلك لتحقيق أهداف البرامج التربويّة ولتنفيذها على أساس الخطة التربويّة الفرديّة.

4ـ إعداد الوسائل التعليميّة والتكنولوجيّة الخاصّة بكلّ فئة من فئات التربية الخاصّة.

5ـ إعداد برامج الوقاية من الإعاقة بشكل عامّ، والعمل على تقليل حدوث الإعاقة عن طريق البرامج الوقائيّة.

6ـ مراعاة الفروق الفرديّة بين الطلاب، وذلك بحسن توجيههم ومساعدتهم على النموّ وفق قدراتهم واستعداتهم وميولهم.

7ـ تهيئة وسائل البحث العلميّ للاستفادة من قدرات الموهوبين وتوجيهها وإتاحة الفرصة أمامهم في مجال نبوغهم.

8ـ تأكيد كرامة الفرد وتوفير الفرص المناسبة لتنمية قدراته حتى يستطيع المساهمة في نهضة الأمّة[1].

مبادئ التربية الخاصّة:

ـ يعتمد تطبيق التربية الخاصّة في المؤسّسات التعليميّة المتخصّصة على العديد من المبادئ، منها:

ـ ربط الأطفال ذوي الحاجات الخاصّة مع البيئة المحيطة بهم.

ـ توفير مؤسّسات تعليميّة، وتربويّة قريبة من المؤسّسات العاديّة؛ لمساعدة الأطفال على التأقلم مع الأفراد المحيطين بهم.

ـ تحفيز دور الاختصاصيّ، أو معلّم التربية الخاصّ في توجيه سلوك الأطفال بطريقة صحيحة.

ـ الاهتمام بالأطفال في المراحل العمريّة المُبكرة، ما يساعدهم على اكتساب المهارات المناسبة بفترةٍ زمنيّة قصيرة.

استراتيجيّات التربية الخاصّة:

1ـ الدمج الأكاديميّ:

الدمج الأكاديميّ هو عبارةٌ عن نوعٍ من أنواع الاستراتيجيّات التي تعتمد على تطبيق فكرة وجود

(1)- http://www.gulfkids.com/ar/index.php.

أطفال يعانون من حاجات خاصّة مع أطفال عاديّين، وقياس مدى تفاعلهم معاً، ثم دراسة طبيعة أداء الأطفال ذوي الحاجات الخاصّة، وتحديد مدى فهمهم للمادّة الدراسيّة، لكن هذه الاستراتيجية تواجه – أحياناً- صعوبةً في التطبيق؛ بسبب عدم تقبّل الطلاب العاديّين للطلاب ذوي الاحتياجات الخاصّة، وعدم تأهيل المعلّمين العاديّين بشكل جيّد للتعامل مع هذه الفئة تحديداً

2. الدمج الاجتماعيّ:

استراتيجيةٌ تهدف إلى تفعيل دور الطلاب من ذوي الاحتياجات الخاصّة مع المجتمع المحيط بهم، خصوصاً بعد حصولهم على التعليم الكافي، أو بعد تخرّجهم من المرحلة الجامعيّة. يعتمد هذا الدمج على ضرورة توفير وظائف ومهن تتناسب مع حالتهم الصحّيّة، والنفسيّة ما يسهم في جعلهم أفرادًا ناجحين في مجتمعهم.

توصيات لا بدّ منها...

انطلاقاً مما تقدّم، نشدّد على أهمّيّة دور المدرسة والأهل في التعامل مع هذه الحالات؛ فإنّ كان لديهم طفلٌ يعاني من التوحّد؛ فعليهم أن يعرفوا أنّه اضطراب وليس مرضًا لا يمكن الشفاء منه، وأنّهم يستطيعون تطوير قدراته، والأهمّ من ذلك أنّ على الأهل أن يدركوا أنّ ابنهم هو نعمة من الله كيفما خلق، وليس من الأمر المحرج البوح بأنّه من ذوي الاحتياجات الخاصّة.

أمّا على صعيد المجتمع، فيجب إعطاء ذوي الاحتياجات الخاصّة حقوقاً تكفل لهم حياةً إنسانيّة كريمة تمكّنهم من الاندماج في المجتمع والاستفادة من إمكانتهم وقدراتهم مهما كانت، دون إشعارهم بالشفقة، لأنّها تترك أثراً سلبيًّا عليهم.

أخيراً، إنّ ذوي الاحتياجات الخاصّة، هم أشخاص يعانون من اعتلال فيزيائيّ أو عقليّ، يمنعهم من المشاركة الفعّالة والكاملة في المجتمع بالتساوي مع الآخرين. والتربية المختصّة، وظيفتها تقديم مجموعة من البرامج والخطط والاستراتيجيّات المصمّمة خصيصاً لتلبية الاحتياجات الخاصّة بالأطفال غير العاديّين، وتشتمل على طرائق تدريس وأدوات وتجهيزات ومعدّات خاصّة، بالإضافة إلى خدمات مساندة. وأهدافها هي تشخيص ذوي الاحتياجات الخاصّة ووضع برامج واستراتيجيّات للتعامل معهم، والاستفادة من قدراتهم في الحياة، ليحيوا حياة كريمة.

إيمانك طريقك إلى السلام النفسيّ

عمار محمد الحموي
باحث ـ سوريا

توتّر، قلقٌ، خوف، انزعاج، اضطراب نفسيّ، اكتئاب... وغيرها من الحالات التي بتنا نشهدها يوميًّا على وجوه الناس، وتتطوّر تدريجيًّا لتصبح في ما بعد مرضًا لا يمكن التخلّص منه، أو الحدّ من آثاره.

مِمَّ ينشأ التوتّر؟ ما هي أسبابه؟ ولماذا تزيد نسبته على الرغم من التطوّر الذي يشهده العالم في مختلف الأصعدة ؟

ما هي آثاره؟ وكيف يمكن السيطرة عليه؟

تطوّرت الحياة ولكن...

اتّسمت حضارتنا البشريّة عبر عصورها بسمة التطوّر خدمة للإنسان في مختلف المجالات، سواء أكانت تتعلّق بصحّته العامّة والنفسيّة، أم بما يرتبط بالجوانب المادّيّة، الفنّيّة منها والتقنيّة، بهدف توفير قدر من الرضى والاتّزان والأمن النفسيّ، وإذا كان التطوّر التكنولوجيّ قد وفّر للإنسان سرعة في الاتصال وسهولة في التنقّل، ويسّر له عمليّة الحصول على معظم احتياجاته، فإنّه عرّضه في الوقت نفسه لاحتمالات الموت؛ بأسلحة الدمار الشامل التي تستخدم في الحروب، وبكوارث الحضارة المتمثّلة في العنف والتنكيل بالآخر والتعصّب الأعمى للمعتقد أيًّا كان نوعه أو صحّته، الأمر الذي زاد فيه الإحساس بالقلق والتوتّر وتكوّنت ضغوط لم تكن معروفة زمن السيف والخيل والحروب التقليديّة.

وهذا يؤيّد ما يقال من أنّ عصرنا الحاليّ باتجاهاته الماديّة وصراعاته المستمرّة يدفع الإنسان ليعيش تحت وطأة التوتّر والضغوط النفسيّة؛ حيث يعاني الإنسان المعاصر من التعب والإرهاق والعمل فوق القدرة- أحيانًا- والتوتّر واتّساع الطموح، والتبدّل السريع للقيم والتقاليد والأعراف السائدة؛ ما ينعكس سلبًا على الناس، ويولّد طبيعة ضاغطة في العمل والدراسة والزواج، والتنقّل من مجتمع إلى آخر، وضرورة التكيّف مع قيم ذلك المجتمع وتقاليده، ومع أنماط الحياة الغريبّة فيه.

أسباب التوتّر:

1 ـ مشكلات نفسيّة: الانفعال، الغضب، الاكتئاب، والتهوّر إزاء مواقف الحياة المتعدّدة.

2 ـ مشكلات اقتصاديّة: نتيجة الفقر والحاجة وعدم القدرة على تأمين متطلّبات الحياة.

3 ـ مشكلات أسريّة: نتيجة غياب أحد الوالدين؛ لموت أو سفر، عدم الاستقرار، طلاق الوالدين.

4 ـ مشكلات اجتماعيّة: نتيجة سوء العلاقة مع الآخرين، وصعوبة تكوين صداقات.

5 ـ مشكلات صحّيّة: مرتبطة بالصحّة الجسديّة الفسيولوجيّة؛ وأبرزها: الصداع، وارتفاع ضربات القلب، والغثيان والرعشة... وغيرها.

6 ـ مشكلات شخصيّة: منها: الهروب، انخفاض تقدير الذات، وانخفاض مستوى الطموح والتصلّب، وجمود الرأي، والتردّد وصعوبة اتخاذ القرار.

الدين هو الحلّ:

لا شكّ أنّ قوّة تأثير المواقف الحياتيّة الضاغطة كبير جدًا، إلى الحدّ الذي لا يمكن للفرد أن يتحمّله، بل إنّ تلك الضغوط قد ترغمه على التخلّي عن الطرق السويّة في التفكير؛ فيلجأ إلى تبرير الفعل الضاغط، ويصل به الأمر أحيانًا إلى أن يعتقد بأنّ ما يعانيه إنّما هو أمر منزّل من السماء، وأنّ الله يختبره ويمتحن صبره. وهناك من يختلّ توازنه حتى تبدو عليه علامات الهلوسة؛ فيتحدّث مع نفسه وهو يمشي في الشارع! لذا لا بدّ من العودة إلى الدين الذي وضع الحلول الناجعة لكلّ مشكلات البشر وهمومهم، وقدّم معالجات لمشكلة التوتّر.

توجيه القوى النفسيّة والغرائز وترشيدها:

إنّ السلوك الناتج عن الغريزة، تتحكّم به إرادة الإنسان وما يحمله من متبنّيات فكريّة وعاطفيّة وخلقيّة؛ من حيث نظرته للكون وللحياة والمجتمع. وتتنوّع الغرائز بتنوّع تركيبة الإنسان وكينونته، فهو جسد وروح، ولكلّ منهما وظائفه الخاصّة المترتّبة على الحاجات الأساسيّة العضويّة والوجدانيّة في آنٍ واحد.

وثمّة قوّتان تتجاذبان الإنسان: قوّة الشهوة، وقوّة العقل، وهذه القوى تساهم في تعجيل اليقظة، وتسرع تنامي تأثيره، وهي المؤثّرة في بنائه الخلقيّ والنفسيّ، فإذا نمت قوّة الشهوة وتغلّبت على قوّة العقل، فإنّ الإنسان سيكون مستسلماً لهواه وملذّاته، وسيشبعها دون قيود أو شروط، وذلك في أجواء المثيرات والمغريات الخارجيّة، وهذا يؤدي إلى اختلال التوازن النفسيّ والانفعاليّ في كيانه؛ فيصاب بالتوتّر والاضطراب النفسيّ والروحيّ. وإذا غلبت قوّة العقل على قوّة الشهوة، فإنّ الإنسان سيشبعها في وجهها الإيجابيّ، فلا يوقف الشهوة ولا يعطّلها، بل يوجّهها وجهة عقلانيّة، ويقيّدها بقيود الشريعة، أو يؤجّل إشباعها إلى ظرفها المناسب المشروع. ودور العقل هو تعديل الشهوة وتهذيبها، واستبدال مثيراتها الطبيعيّة بمثيرات أخرى تتجه بها إلى السموّ والكمال.

دور القيم المعنويّة والنفسيّة في تربية الأفراد:

أثبتت حركة التاريخ وسننه المتتابعة أنّ الابتعاد عن الدين

فكراً وسلوكاً هو أساس جميع ألوان الانحراف والانحطاط الفرديّ والاجتماعيّ، بدءًا من فقدان الصحّة النفسيّة والروحيّة، وانتهاءً بالممارسات المنحرفة؛ ولهذا نجد أنّ الانحراف يتزايد في المجتمعات غير الدينيّة التي لا تؤمن بمفاهيمه أو لا تتبنّاه منهجاً لها في الحياة. قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾(سورة طه، الآيتان 123-124).

والضنك هو الضيق في كلّ شيء، وهو لازم لمن أعرض عن ذكر الله، والإعراض يبعد القلب عن الهدوء، ويفقد النفس الطمأنينة، ويجعل الإنسان يعيش الانفلات من الرقابة الذاتيّة؛ فلا كابح لشهواته ورغباته ونزواته، بل يكون همّه إشباعها بأيّ طريق أمكن دون النظر إلى الآثار الوخيمة المترتّبة على ذلك.

وتشمل القيم المعنويّة: الإيمان بالله، والإيمان بالثواب والعقاب، وذكر الله، وذكر الموت، والاعتراف بالذنب، والاستغفار، والتوبة، والرضى بالقضاء. وفيما يلي نستعرض أهمّها:

أ- **الإيمان بالله تعالى**: الإنسان مجبول بفطرته على الإيمان بالله تعالى، وهذا الإيمان يمنحه الأمل بالحياة، والاعتماد على الخالق، ويزرع فيه الوازع الدينيّ الذي يحميه من اقتراف الآثام.

والإيمان بالله تعالى باعث للسلوك القويم؛ حيث يجعل الخير والصلاح أصيلاً ثابتًا لا عارضًا مزعزعًا. ومن آثاره: التفاؤل، التفتّح، الطمأنينة، التمتّع باللّذّات المعنويّة، مقاومة الانحراف، الصبر على المصائب، التنافس على عمل الصالحات، وغيرها من مقوّمات الاستقامة وحسن السيرة والسريرة.

ومن آثاره الاجتماعيّة: احترام القوانين والضوابط الاجتماعيّة، تقديس العدالة، الشعور بالأخوّة والمحبّة بين الأفراد، الثقة المتبادلة، الإحساس بالمسؤوليّة الاجتماعيّة، التقوى، الإيثار، نكران الذات، تقبّل النصيحة والنقد البنّاء.

ب - **الإيمان بالثواب والعقاب**: الإيمان بالثواب والعقاب واستشعاره في العقل والضمير هو الزمام الذي يكبح الشهوات والنزوات، وهو أكثر إيقاظًا للعقل والقلب والإرادة؛ حين يوجّه الكيان الإنسانيّ إلى اليوم الخالد الذي يقف فيه الإنسان أمام من لا تخفى عليه خافية وأمام من يحيط بالإنسان والحياة والكون. والإيمان بالحياة الأخرى حافز على إصلاح النفس والضمير، وحافز للتسامي والارتقاء في جميع مقوّمات الشخصيّة الإنسانيّة، ومقوّمات الحياة الإنسانيّة.

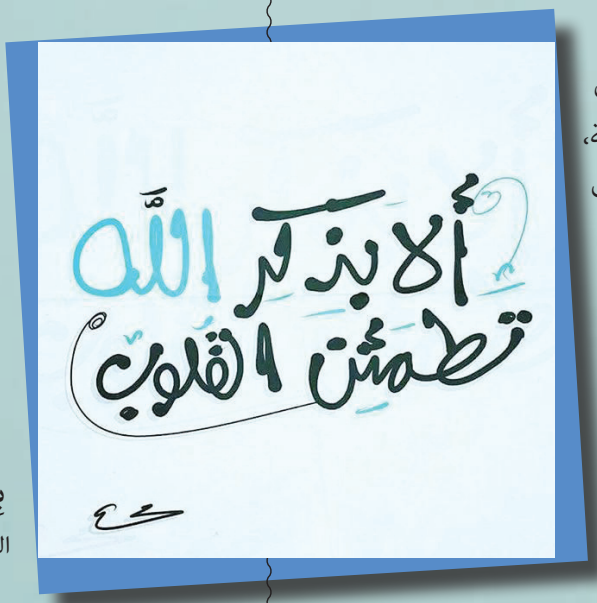

ج. **ذكر الله تعالى**: قال تعالى: ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(سورة الرعد، الآية 28).

إنّ اطمئنان القلب يحقّق التوازن النفسيّ والانفعاليّ، وهو أحد أعمدة الصحّة النفسيّة التي تسهم مساهمة فعّالة في ارتقاء الإنسان سلّم الكمال والمسيرة الصالحة. وذِكرُ الله يصدّ عن فعل القبيح لاستشعار الرقابة الإلهيّة المطبقة على حركات الإنسان وسكناته، فلا يُقدِم على أيّ ممارسة مخالفة للموازين الإلهيّة في السلوك والعلاقات الاجتماعيّة، ولا يُقدِم على أيّ عمل لا يحرز فيه رضى الله تعالى. وأوّل ثمار ذكر الله تعالى الابتعاد عن الشيطان الذي يوسوس للإنسان ويزيّن له الانحراف، والابتعاد عن الشيطان أو إبعاده عن التأثير مقدّمة لإصلاح خلجات النفس ثمّ الممارسات العمليّة. ومصاديق الذكر متعدّدة ومتنوّعة لا حدود لها، وقد وردت عدّة روايات تؤكّد على التسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير،

وقول: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، ولكلّ واقعة أو حدث أو قضيّة ذِكر معيّن، مثل: الحمد لله، حسبي الله، أتوكّل على الله... وغيرها.

د ـ **الاستغفار:** الاستغفار مفهوم إسلاميّ ينقل الإنسان من مرحلة الوقوع في الانحراف إلى مرحلة تجاوزه والعودة إلى الهداية والاستقامة، وهو نقلة نوعيّة في مسيرته وحركته الفرديّة والاجتماعيّة، فالنفس الإنسانيّة حين ترتكب الخطيئة يختلّ توازنها وتماسكها، وتصبح عرضة للوساوس والهواجس، فيجد الشيطان طريقه إلى هذه النفس، وقد يقودها إلى الانحراف تلو الانحراف، ولكن الاستغفار يردّها إلى الاستقامة ويقوّي صلتها بالله تعالى. والاستغفار علاج واقعيّ للانحراف، ويسهم في اجتثاث آثاره السلبيّة على القلب والإرادة، وهو الدواء كما جاء في الروايات.

هـ. **تنمية الحياء:** الحياء عبارة عن الشعور بالانفعال والانكسار النفسيّ نتيجة للخوف من اللوم والتوبيخ من الآخرين، وهو شعور تُراعى فيه المثل والقيم والضوابط الاجتماعيّة، ويسهم بشكل فعّال في ضمان تنفيذ القوانين والمنع من الإقدام على التجاوز والاعتداء، وهو الذي يحصّن الإنسان من جميع ألوان الانحراف والرذيلة. ورد في الحديث: «الحياء لباس سابغ، وحجاب مانع، وستر من المساوئ واقٍ، وحليف للدين، وموجب للمحبّة، وعين كالئة تذود عن الفساد، وتنهى عن الفحشاء»[1].

وللحياء آثار تربويّة؛ أبرزها العفّة، والابتعاد عن فعل القبيح.

(1) ابن أبي حديد: شرح نهج البلاغة، ط2، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، قم، 1404هـ ج20، ص272.

خلاصة القول، إنّ كثرة الضغوط والتسارع في الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والعمليّة، وازدياد متطلّبات الحياة، كلّها عوامل أدّت إلى أن يعيش الفرد في توتّر، وقلق، وتفكير دائم بشؤونه الحياتيّة...

والحلّ الوحيد للخروج من هذه الحالة هو الرجوع إلى الله، وذكره في كلّ سرّاء أو ضرّاء؛ عندها يعيش الإنسان سلامًا داخليًّا، وهدوءًا، واطمئنانًا نفسيًّا...

عندما يُصبح التعليم إبداعيًا..

جهاد سعد
خبير تربويّ وباحث في الشؤون الفكريّة-لبنان

لا زلت أذكر دفتر التحضير الذي كان يحمله بعض الأساتذة من سنة إلى سنة، تَصْفَرُّ أوراقه ويبقى هو المرجع، حتى أنّ بعض المعلّمين يضْفون على ذلك "المرجع" هالة من القداسة من شدّة تمسّكهم بأساليبهم المعتادة، وإذا طلبت منهم إعادة النظر في كيفيّة تحضير الدرس وفقاً لما حدث من تطوّرات سواء أكان على مستوى المنهج أو الوسائل أو الطرائق، لسردوا لك الأسماء المشهورة التي خرّجها دفتر التحضير إيّاه.

لا تقع المسؤوليّة على المعلم وحده، فعندما تهمل الإدارة عمليّة التدريب المستمرّ للمعلّمين، وتقصّر في تأمين الحوافز المادّيّة والمعنويّة، وتترك المهنة الأشرف في هذا العالم أسيرة الضغوط الحياتيّة، فإنّ المعلّم سيكون حصيلة هذه المعوقات التي تحوّله إلى ما يشبه الآلة التي تكرّر ما تعرف؛ لأنّه لا يملك الوقت الكافي ولا "ترف" إعادة النظر فيما يعرف.

ولا شكّ أنّ ساحة العمل التربويّ لم تخلُ من نجوميّة المعلّمين "الإبداعيّين"، ولكنّها تبقى في أجواء التعليم الكمّي ظواهر فريدة،

ما لم يكن الإبداع هدفاً وبرنامجاً وسياسة تربويّة توفّر لها الإدارات المعنيّة كلّ ظروف النجاح والظهور والتطوّر.

التعليم الإبداعيّ هو الحلّ:

لا فرق بين أن تكون المدرسة متواضعة أو غنيّة، فبإمكان المعلّم المخلص أن يُحدِث الفرق ويردم الهوّة إذا كان يتمتّع بالضمير الحيّ، وبالقدرة على البحث، وبالرغبة في التجديد، التي تحوّل المهنة الرتيبة لا إلى مزرعة للقدرات والمهارات عند التلامذة فحسب، بل إلى فرصة دائمة لبناء الذات...

فما هي المجالات التي يتدخّل فيها المعلّم وأين؟

المناهج مستويات، فهناك "المنهج الرسميّ" المعتمد من الدولة، والذي يصدر بمراسيم ملزمة لجميع المؤسّسات التربويّة، وهناك "المنهج المكتوب" الذي تصدره دُور النشر، وهو يعبّر عن فهم المؤلّفين للمنهج الرسميّ، وهناك "المنهج المعلّم"، وهو ما يتمكّن المعلم من نقله أو زرعه أو بعثه أو إيقاظه في التلامذة والطلاب من معارف ومفاهيم وقيم ومواقف وقدرات ومهارات وكفايات، وهذا المنهج الأخير هو ساحة إبداع المعلّم سواء أكان على مستوى المحتوى أم الطريقة والوسائل.

وهناك منهج آخر خطير نسمّيه "المنهج الخفيّ"، وهو منهج غير مقصود ينقله المدرّس بسلوكه في الصف بقوّة القدوة، ويتأثّر به الطلاب سلباً أو إيجاباً، فكثيراً ما نجد الطلبة أو الطالبات متأثّرين بطريقة كلام مدرّس، أو بأسلوبه في إدارة الصف، أو حتى بالألوان التي يرتديها أو بالطريقة التي يعبّر فيها عن غضبه أو ببعض الكلمات التي يستخدمها، ما يلقي عبئاً ثقيلاً على المعلّم الذي يصبح ملزماً بمراقبة نفسه، بل قد يضّطرّ إلى تكلّف السلوك المخالف لطبعه في الصف لكي تكون قوة القدوة إيجابيّة دائماً.

ومن المنهج المعلمّ والمنهج الخفي تظهر شخصيّة المدرّس المبدع حينما يبتكر مقاربات غير مألوفة للمادة التعليميّة، بحيث يتمكّن من تحويل التلميذ إلى محور للعمليّة التعليميّة، أو كما نقول في الطرائق الناشطة: عندما يتحوّل المعلّم من سائق الباص، إلى شرطيّ السير، من

نقل المعلومة إلى إقدار التلميذ على الوصول إليها، فهل يقتصر هذا الأمر على الأساتذة الموهوبين؟ **لا شكّ أنّ المقوّمات الشخصيّة تقوم بدور أساس في هذه العمليّة، ولكن تطوّر الوسائل اليوم وظهور الثروة المعلوماتيّة وسهولة البحث تسمح بإبداع الإبداع أو باستعارته.**

المعلّم المبدع باحثاً:

المعلّم المبدع طالب وباحث أبديّ، لا يكتفي بما يتضمّنه الكتاب المعتمد، بل يبني مكتبة ورقيّة وإلكترونيّة وينمّيها في كلّ عام، مطّلعاً على التمارين والنشاطات المستحدثة، ولا عزاء لدفتر التحضير الأصفر الذي يتحوّل في أحسن الأحوال إلى تراث مجيد.

الكتاب المعتمد عند المعلّم المبدع هو في أحسن الأحوال وجهة نظر أبداها المؤلّفون المتخصّصون في المادة من زاويتهم، أمّا المنهج المعلّم، فهو ذلك المزيج من الطالب وقدراته والمعلم ومهاراته، وما حوت الكتب المتخصّصة والمواقع الإلكترونيّة التعليميّة من أنشطة تحرّك في المتعلّم سبل التفكير وتشجّع حماسة المنافسة، وتستفزّ الحواس، وتجذب الانتباه، وتطيل فترة التركيز دون جهد يُذكر، وتراعي الفروقات الفرديّة، فهذا تمرين يخاطب الذكاء البصريّ، وآخر يخاطب الذكاء السمعيّ، وتلك مجموعة من الأسئلة تستنفر التحليل. وتتغيّر مع كلّ نشاط وضعيّات التعلم، ويتمدّد الصف إلى المختبر والملعب، بل وإلى خارج المدرسة عندما يقتضي الأمر.

أمّا الوسائل الإلكترونيّة فتُستخدم لتقديم أكبر قدر من المعلومات بأقلّ وقت ممكن، وملء الثواني العزيزة من الحصّة التعليميّة بإدارة صارمة لوقت النشاط تكفي لمشاركة فاعلة تصل أحياناً إلى ما يشبه الفوضى المنظّمة.

إنّ المعلّم المبدع يسأل أكثر مما يجيب، ويدير الحوار أكثر مما يحاضر، ويكرّر دائماً في سلوكه التعليميّ مقولة سقراط الشهيرة: **"كلّمني حتى أراك"**. إنّ حركة التلميذ ومفرداته وطريقة تفاعله تجعل منه تقريراً يمشي على قدمين، يُقَوّم المدرّس من خلاله مدى تحقّق الهدف من الحصّة التعليميّة أو من الدرس أو من المحور، ويتحوّل الطالب في هذه العمليّة النشطة إلى حقل أبحاث المدرّس، ما نوع الذكاء الذي يتمتّع به؟ وكيف يمكن الاستفادة منه لتنشيط الآخرين؟ وما هي الأهداف التي لم تتحقّق بعد والتي لم تظهر في التغيير

المنشود للسلوك الذهنيّ والعمليّ للمتعلّم؟ وما هي الأنشطة المناسبة والمكمّلة لهذا النوع من الفروقات الفرديّة بالذات؟ إنّ كلّ تلميذ يتحوّل إلى أطروحة قائمة بذاتها يتعلّم منها المعلّم سبل التطوير المستمرّ لطرائق التدريس والتقويم والتواصل الفعّال والإدارة الصفّيّة... وهكذا يجد المعلّم نفسه مع كلّ صفّ جديد أمام تحدّيات مختلفة تطرحها القدرات المختلفة للمتعلّمين، فيجدّد ويتجدّد ويحرّك ويتحرك، ويذهب بقدراته وبقدرات تلامذته وقابليّاتهم إلى أقصاها. هذا هو المقصود عندما نقول إنّ الطرائق الناشطة تحوّل التلميذ إلى محور للعمليّة التعليميّة، يعني تغيير "كوبرنيكي" يجعل المعلّم يطوف حول المتعلّم، باحثاً عن حاجاته وقدراته وقابليّاته، محبّاً له كما هو، قائداً لقلبه وعقله وسلوكه إلى ما يجب أن يكون.

متطلّبات التعليم الإبداعيّ:

يدرك المعلّم المبدع بوعي عمليّ أنّ موقعه من العمليّة التعليميّة قد تغيّر، وأنّ دوره الأساس أصبح تعليم الولد كيف يتعلّم، فلم يعد هو مصدر العلم الأساس، بل هو شرارة الانطلاق، فلا يوجد منهج اليوم يمكنه أن يعلّم الولد كلّ ما سيحتاجه في المستقبل، وذلك في ظلّ هذا التغيّر المتسارع الذي يؤدّي إلى انقراض مهن وظهور أخرى.

ليس كلّ من يقف في الصف اليوم قد اختار هذه المهنة بإرادته الحرّة، بل الأغلب أنّ الأقدار ساقته إليها، ولكن ليس بإمكانه أن يبرع فيها إذا لم يحبّها بشغف يلامس الزهد والتصوف، والحبّ وحده هو الوصفة السحريّة لتخفيف العناء والجهد والفرح بالإنجاز. وهو الذي يحوّل المعلم إلى نحلة نشطة بين الكتب والمواقع لاختيار ما يناسب الدرس والهدف والتلامذة من عسل المعرفة.

ومهما كانت ظروف المعلّم والمدرسة قاسية، فإنّ المعلّم الباحث والمبدع والمحبّ يمتد جسراً حانياً بين المتعلّم الفقير والمستقبل الباهر، وليس من قبيل المبالغة أن نقول: **كم من ثورة أصلحت أمّة بدأت تباشيرها في صف متواضع بين أحضان معلّم محب.**

فثقّفْ بنفسكَ يا أخي المعلّمَ وأصنع ثورتكَ

بأقلامكم نبدعون

إعداد: **بشرى زهوة**
إشراف: **أحمد شيبان**

يقول الروائيّ السودانيّ «أمير تاج السرّ»: «**حبّ الكتابة هو الموهبة**»، وفي كتاب «**ضغط الكتابة وسكرها**» - تحت عُنوان «محترفات الكتابة.. هل تخرّج كتّابًا؟»- يقول: «**لا أريد أن ألغي دور الموهبة، ولن أسمّيها الموهبة، ولكن أسمّيها حبّ الكتابة، فالذي يحبّ الكتابة، يمتلك من الصبر ما يجعله يناضل لينال ثقة حبّه، ويكون كاتبًا**». مشدّدًا في كلامه على أهمّيّة تدريس الكتابة؛ وخاصّة الكتابة الإبداعيّة.

ـ ما المقصود من الكتابة الإبداعيّة؟

ـ ما هي أنواعها؟ وهل لها أسس وقواعد؟

ـ لماذا يحتاج الشباب إلى الكتابة الإبداعيّة؟

ـ وهل هناك ورشات تدريبيّة تلبّي موهبة الشباب وتنمّي قدراتهم؟

الكتابة الإبداعيّة شكلٌ من أشكال الكتابة الّتي تعبّر عن مشاعر الكاتب وعواطفه، بالإضافة إلى خبراته وأفكاره على المستوى الإدراكيّ الواعي واللاواعي. وهي تظهر من خلال حاجة الكاتب للتّعبير بطريقة إبداعيّة وشاعريّة. وللكتابة الإبداعيّة أنواع عدّة، منها: الرواية، القصص القصيرة، القصائد، كتابة المقالات، كتابة السيناريو، كتابة المسرحيّات... وعادةً ما يكون لكلّ نوع برنامج خاصّ لدراستها، لكنّها تندرج جميعها تحت مسمّى «**الكتابة الإبداعيّة**».

وعلى الرغم من كونها مادّة تُدرّس منذ سنوات في مدارس أوروبا وجامعاتها، لكنّ الكتابة الإبداعيّة دخلت بشكلها التطبيقيّ مؤخّرًا إلى عالمنا العربيّ لدحض «الكليشيه» (أي المعتاد) القائل إنّ الكتابة هي عمليّة فطريّة بحت.

ولدى سؤالنا الأستاذ «عبد الرحمن جاسم»- مدرّب الكتابة الإبداعيّة، وصاحب المنهاج الخاصّ في هذا المجال[1] عن ورشات الكتابة الإبداعيّة التي يقيمها في «دار- المجمّع الإبداعيّ»؛ وعمّا إذا كانت موجّهة إلى فئة معيّنة أم أنّها تناسب جميع الفئات؟ أجاب: «**يتوجّه برنامج الكتابة الإبداعيّة للجميع،**

(1)- منهاج بريطانيّ مُقنن محلّياً؛ ليناسب البيئة المحلّيّة التي يُدرّس فيها.

لجميع من يعتقدون بأنّ لديهم الموهبة على الإبداع، بصرف النظر إن كان لم يكتب قبلًا، أو لم تكن لديه الخبرة الكافية لذلك، المهم هو أن يكون لديه الموهبة والإصرار على تحقيق أهدافه وأحلامه. فقد تمّ وَضْعُ البرنامج بطريقة تجعله سهلًا وقابلًا للانسجام مع حاجات الجميع؛ فالكتابة الإبداعيّة وسيلة لتحويل أفكارك إلى نصوص، سواءً عبر تحويلها إلى نصٍ مكتوب، أو عملٍ مرئيٍّ أو مسموع».

وأضاف جاسم: «**هي معركةٌ فعليّة؛ فالصراع أن نقدّم إبداعًا بلغةٍ محلّيّة، مثقفةٍ، واعية، تعرف طريقها إلى جمهورها**».

يمتدّ برنامج التدريب في دار المجمع الإبداعيّ إلى ستة أشهر من التّدريب المُكثّف- تبعاً للمنهج البريطانيّ المقنّن عربيًّا، والخاصّ بالدار- ويستهدف ثلاثة أجيال من الكتّاب: جيل الروّاد، الجيل الثاني، والجيل الثالث، الذين يختلفون في اختصاصاتهم ومجالاتهم المهنيّة وحتّى في ميولهم الأدبيّة، ولا يزال يتطلّع لأجيال تكمّل هذا الدرب.

وقفة مع الشباب المتدرّبين...

كان لنا لقاء مع بعض الكتّاب من الأجيال الثلاثة لسؤالهم عن الأثر الذي تتركه ورشة الكتابة الإبداعيّة في نفوسهم، وعن مشاعرهم تجاه هذه الورشة:

تقول نور يونس، وهي مهندسة معماريّة (من الجيل الثالث في دار- المجمع الإبداعيّ): «لم أكن أتصوّر أن تؤثّر بي هذه الورشة بشكلٍ إيجابيّ إلى هذا الحدّ، ليس فقط على صعيد معرفة التقنيّات والأساليب المتبّعة في الكتابة الإبداعيّة والتي كنت أجهلها تمامًا، إنّما أيضًا على المستوى المعرفيّ والثقافيّ المحبوك بدقّة في «الدار»، ما جعلني أرى الأمور المحيطة بي من منظور أوسع ومُشبع بالتفاصيل والحكايات التي من الممكن أن تُصبح قصصًا ممتعة. وأصبحت الكتابة جزءًا منّي، حتى بات من الصعب الاستغناء عنها بسهولة.»

أما زهراء حيدر، معلّمة الرياضيّات في مدارس المصطفى(ص)، (وهي من الجيل الثاني) فقد أجابت: «في البداية وفور انضمامي لورشة الكتابة الإبداعيّة توقّعت أن أسمع من الأستاذ: «أنتِ ما بيطلع منّك شيء، الله معك» لكن ما صادفته خلال الورشة كان عكس ذلك، تعلّمت المثابرة وكتابة القصص ببساطتها، اعتمادًا على التقنيّات الصحيحة. فالكتابة إضافةً إلى أنّها فنّ، هي أيضًا حِرفة، هذا ما تعلّمناه في الورشة. أصبحتُ أرى وزملائي الأحداث في حياتنا صغيرة كانت أم كبيرة، من وجهة نظر مختلفة عن السابق، وتحويلها إلى قصص نلوّنها بمشاعرنا وبأسلوب يخصّ كل كاتب منّا».

حسين شُكر- من الجيل الثالث- يعمل مديراً لأحد المطاعم الشهيرة: «أكثر ما أثار حماسي لدخول هذه الورشة هو الرغبة في نشر الكتاب، لكن، بعد دخولي الفعليّ تغيّرت نظرتي للأمر كلّيًّا، فقد أصبحت الكتابة الإبداعيّة أسلوبًا جديدًا في حياتي. في كلّ يوم، وفي أيّ مكان تكون فيه تنعكس تجاربك على المحيطين بك لتُنتج منك إنسانًا له نفس المظهر لكن بفِكر متطوّر وواعٍ أكثر لملاحظة أيّ شيء والاستفادة منه».

و يُكمل شُكر: «إنّ دخولك في هذه الورشة يعني دخولك إلى عائلة جديدة تُشعرك بالانتماء والمسؤوليّة تجاهها، فضلاً عن الإيمان بهذا المشروع النهضويّ».

اللقاء جمعنا أيضًا بالمربّية المختصّة (وصاحبة مركز الفرح للتأهيل

والتدريب) سكينة الميناوي (وهي من الجيل الثالث)، فحكت لنا عن تجربتها مع الكتابة الإبداعيّة: « تبدّلت ردود فعلي تجاه أيّ سبب كان من الممكن أن يمنعني من حضور صفوف الورشة، فخلال ستة أشهر من الالتزام بالورشة لم أستطع أن أتغيّب حتى في ظروف كانت تستدعي ذلك. ورشة الكتابة الإبداعيّة جعلتني أكثر واقعيّة وعمليّة وعلّمتني أنّ الكتابة هي جزء من دورة الحياة، ولا بُدّ أن تستمر». وأضافت: « تبدلّت أفكارنا وحتى طريقة تفكيرنا تغيّرت، لكن ليس التفكير خارج الصندوق كما يشاع اسمه؛ لأنّه لا وجود لهذا الصندوق أساسًا، وهذه كانت أول عبارة أسمعها من الأستاذ عبد الرحمن. وخلال الحصص بالفعل فهمت معنى هذه الجملة جيّدًا».

أمّا لبنى سبيتي التي تعمل منسّقة للّغة الإنكليزيّة (في مؤسّسات أمهز التعليميّة)، وهي من جيل الروّاد، اعتبرت أنّ الكتابة غيّرت كثيراً من الأمور في حياتها وشخصيّتها وقالت: «أصبحتُ وبدون جهد قادرة على التعبير عن ذاتي بثقةٍ أكبر. صار للمستقبل معنى مختلف، وتحوّل يوم العمل الروتينيّ إلى يومٍ غنيّ بعد إضافة الكتابة التي وحدها أرضت ذاتي بشكلٍ حفّزني للانتظار بشوق مجيء الغد. وعلى الرغم من كلّ القيود، أشعر

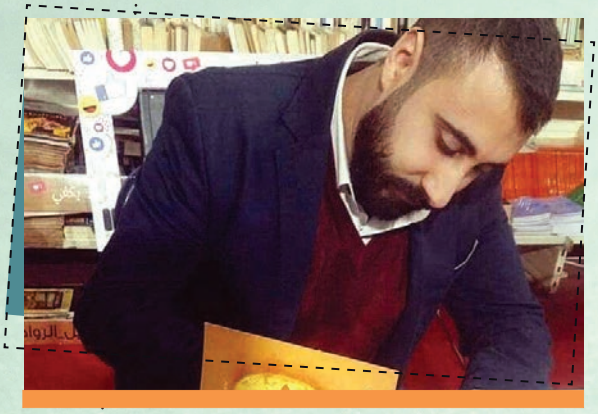

بأنّ روحي تتجدّد مع الكتابة عامًا بعد آخر».

نهاية اللقاء كان مع الصيدلانيّة جيهـــان حـــمّود، (وهي من الجيل الثالث)، حيث قالت: «ورشة الكتابة الإبداعيّة هي المكان الذي من خلاله أصبحتُ قادرة على أن أعبّر عن ذاتي، أُخرج كلّ المشـــــاعر المـــتناقضة في داخلي من غضب أو فرح أو حزن.. وأحوّلها إلى كلمات ثمّ إلى قصّة ممتعة، وبعد انتهائي من الكتابة أشعر بأنّني تحرّرت من العبء وأصبحت قادرة على التنفّس. فأنا أشعر وكأنّ الكتابة هي الشيء الذي كنت أحتاج إليه وأبحث عنه، وإنني الآن غير مستعدة لخسارته أبدًا».

نخلص من كلّ ما سبق إلى أنّ الكتابة الإبداعيّة هي تعبير عن الرؤى الشخصيّة، وما تحتويه من انفعالات، وما تكشف عنه من حساسيّة خاصّة تجاه التجارب الإنسانيّة، فهي ابتكار وليست تقليدًا وتأليفًا ولا تكرارًا، وتختلف من شخصٍ لآخر، حسب ما يتوافر لكلٍّ من مهاراتٍ خاصّة.

ختاماً، يوجّه الكاتب الصربيّ «زوران زيفكوفيتش» نصيحة عن الكتابة يقول فيها: «إنّ الفرق بين الكاتب ومن ليس بكاتب هو أنّ الكاتب مثل تلميذ ورشات الكتابة الإبداعيّة، يحاول ويرغب في أن يكون كاتبًا. أمّا من لم يحاول، فسينتهي به الأمر دون أن يعرف ما إذا كان موهوبًا أم لا. حاول أن تتعامل مع الكتابة الإبداعيّة، ولن يكون لديك ما تخسره، لكن إن كنت موهوبًا ولم تتعامل معها فستفقد كلّ شيء».

فاسعَ أن تكون كاتبًا مبدعًا...

لكنّني أحبّك...

فاطمة كريّم
طالبة في كليّة الإعلام والتوثيق ـ لبنان

وضعت أذنها على الباب، كانت يداها ترتجفان، وقلبها يخفق بسرعة شديدة.

"ما رأيك لو تدخلين بدل التجسّس من خلف الباب"؟

نظرت إلى أختها وهمست: «لا أستطيع، قدماي لا تحملانني، ثم إنّ وجهي لا يرى»!

ضحكت أختها، وجرّتها من يدها إلى غرفة النوم، أوقفتها أمام المرآة وأشارت إليها بالنظر إلى نفسها: «تبدين كالأميرة يا جنى»! !

حين حاول حسن محادثتها للمرة الأولى قبل بدء الدرس في القاعة، لمعت عيناها وارتجفت شفتاها، وأخفضت رأسها في محاولة للهروب من النظر في عينيه. كبر حضورها في قلبه، أحبَّ خجلها وتهذيبها. لم تدرِ جنى ما حلَّ بقلبها، وآمنت بحبِّ النظرة الأولى".

في اليوم التالي تعمّدت جنى أن تصل متأخّرة إلى القاعة، كي تفوّت الفرصة على حسن، أمّا هو فقد انتظر حتى خاب أمله.

تربّى حسن وسط عائلةٍ ثريّة، كان أبوه من كبار التجّار. وكان جاهزًا للزواج على الرغم من صغر سنه.

في القاعة أغلق الدكتور كرّاسه، وختم درسه مستأذنًا. كان حسن أوّل الخارجين من القاعة، رأته جنى يسبق الجميع على غير عادته، وأنبأها قلبها أنّ لخروجه علاقة بها، ملأت رئتيها هواءً وقامت تمشي بهدوء إلى الخارج، كان يجلس تحت الشجرة التي اعتادت أن تنتظر عندها بدء المحاضرات، تسمّرت في

مكانها، صار يحدِّق فيها وكلّ نظراته أملٌ ورجاء.

حاولت أن تستدير وتتجه إلى مكانٍ آخر، لكنّه رفع بيده كتابًا ولوَّح لها من بعيد.

جمد الدم في عروقها، فوجئت بكتابها في يده!

اختلطت في رأسها الأفكار والتساؤلات، لكنّها استدركت، فقد نسيت الكتاب على المقعد تحت الشجرة صباحًا. كانت تمشي متثاقلة، كأنّما يدفعها أحد من خلفها.

أوصلتها أقدامها إليه بعد عناء... "لقد نسيتِ كتابك».

أيامٌ قليلة قبل أن يُطرق بابُ بيتها، وها هي اليوم تسترق السمع من خلف باب الصالة؛ «كان الجوّ إيجابيًّا، يبدو عليه الأدب والتهذيب» حديث دار بين والديها... عَلَتْ وجهها ابتسامة خجولة، شيء ما بداخلها كان يقول لها: «نعم، هذا هو!».

كان المنزل مكتظًّا، عائلة حسن وجنى والأقارب وأصدقاء العائلتين اجتمعوا لعقد القران. كان الفرح ينضح من وجوه الحضور، والدعوات بالرفاه والبنين تتعالى بين الفينة والأخرى... العريس يتعهّد بحفظ العروس في عينيه، وأبوه يطمئن أباها بأنّ جنى ستكون ابنته بإذن الله.

"أربعة شهورٍ مذ حدّثتكِ للمرة الأولى ولا زلتِ تخجلين من النظر في عيني"!

ابتسمت فزاد وجهها إشراقًا، بانت كالزهرة التي تتوسّط اخضرار الربى. أمّا حسن، فكان كالفراشة التي تهيم بالنور، أحبّ جنى حبًّا جمًّا، كان لا يغضبها ولا يرفض لها طلبًا.

كانت رغبة الأهل بأن ينتقلا إلى بيت الزوجيّة بعد انتهاء العام الدراسيّ...

وبما أنّ حسن كان ابن عائلةٍ ثريّة، فقد اختار وجنى شقّةً فخمةً في حيٍّ راقٍ في المدينة، وقصد مع خطيبته أشهر المتاجر ليختارا أثاثًا باهظ الثمن.

«أنا سعيدة جدًّا يا حسن، بل أكاد أطير من الفرح! أشعر أنّ الدنيا لا تتسع لفرحتي»!

التفت إليها حسن وهو يقود السيارة «الحمد لله، أتمنّى أن أسعدك طوال العمر، لأرى الفرحة كيف تلمع نجومًا في عينيكِ السوداوين».

ثمّ عقّب بالقول: أظنّ أنّنا أنهينا كلّ تحضيرات الزواج أليس كذلك؟

اتسعت حدقات عيونها واستدارت إليه: «هل نسيت حفل الزفاف»؟

«لم أنسه بالطبع! ولكنّه لا يحتاج إلى كثير من التحضير، «قاطعته بانفعال: ماذا! أنت مخطئ يا عزيزي! إلّا إذا كنت تريد أن تقتصر على حفل بسيط، هل تنوي ذلك حقًّا»؟

خفّف سرعة قيادته وأوقف السيّارة جانبًا. أمسك بيديها وخاطبها بهدوء: «جنى، تعلمين أنّني لا أبخل عليكِ بشيء، إنّ روحي ترخص لك! ألا توافقينني أنّ الشقّة والأثاث أولويّة تستحقّ أن نبذل لها المال الكثير، أمّا حفل الزفاف فلا ضرورة لأن يكلّفنا أموالًا طائلة»؟

ردّت قائلة: لكن يا حسن، يحقّ لي أن أجعل من يوم زفافي محطّة لتحقيق أحلامي، هذا يوم لن ننساه ما حيينا يا حبيبي، ثم إنّ بعض الأموال لن تؤثّر عليكم؛ فوالدك من كبار تجار المدينة...

«لن أتراجع عن موقفي هذا»! استدارت وأشاحت بوجهها عنه».

«المشكلة أنّني أحبّكِ ولا أضحّي بابتسامتك لحظة واحدة».

لمعت عيناها ونظرت إليه بغنج ودلال: «كنت أعرف أنّك لن تكسر خاطري".

استيقظت جنى على صوت والدها، فتحت عينيها بتثاقل

"عليكِ أن تكوني في بيت عمك، لقد توفّي عمّك يا جنى».

أطرق والدها رأسه، وأجهشت هي بالبكاء.

"ما الذي تقوله يا أبي؟ بالأمس رأيته ولم يكن يشكو من شيء"!

"لقد أصيب بذبحة صدريّة فجر هذا اليوم، وتوفّي قبل وصوله إلى المستشفى، هيّا قومي حتى نذهب معًا إلى بيتهم".

وضعت جنى سماعة الهاتف، بعد أن ألغت كلّ الحجوزات المتعلّقة بزفافها. «يا لسوء حظّي»!! خاطبت نفسها والهمّ قد استولى عليها.

جنّ جنونها، عيناها جاحظتان متسمّرتان على حسن، لم تعد تفقه ما يقول: «ماذا تقصد بأن على عمّي ديونًا طائلة»! حاولت والدته أن تهدّئ من روعها، لكن

محاولاتها باءت بالفشل. «لن ينفعنا الغضب الآن، لقد فات الأوان. علينا أن نسدّد ديون والدي ولو اضطررنا لبيع كلّ أملاكنا»!

«أنا لا أصدق، هل أنا في حلم؟ لا إنّه كابوس... يا إلهي». ثمّ خارت قواها وأخفت عيونها خلف كفّيها وهي تبكي بشدّة. لفّ حسن ذراعه حولها: «لا ترهقي نفسك يا جنى، هذه الدنيا غدرت بنا، هذا نصيبنا»!

«نصيبنا»!! صرخت في وجهه، «أَمِنَ العدل أن يفعل والدك بنا هذا»؟؟

وللمرّة الأولى نظر حسن إليها والغضب يقدح من عينيه.

وصلت إلى بيت أهلها منهارة، صارت تبكي وتلطم وجهها. «أنا لا ذنب لي، كيف تطلبون مني أن أهدأ وقد قال لي إنّه سيبيع الشقّة والأثاث، ويقول سوف نجد حلًا بديلًا... فلتبع أخته ممتلكاتها»!

«لكنّه مضطر يا عزيزتي، لا تعظّمي الأمور، كُفّي عن النحيب بهذه الطريقة، ثم إنّ واجبه تحمّل الموضوع بأكمله»...

لم تستمع جنى إلى أمّها... دخلت إلى غرفتها مسرعة، أغلقت الباب، حملت هاتفها وكتبت رسالة لحسن: «لقد ضحّيت بحفل زفافي، وضحيت اليوم ببيت أحلامي، فاعلم أنها ستكون تضحيتي الأخيرة».

وضع حسن هاتفه جانب صورة تجمعه بجنى، صورتهما حين خرجا معًا أوّل مرة بعد عقد القران. أحبّ هذه الصورة كثيرًا، وجه جنى قرمزيّ من شدة الحياء، تبتسم ابتسامةً ساحرة. يمسك بيدها ويضحك ضحكة المنتصر، ومن خلفهما يظهر البحر بلون السماء. حمل الصورة وأدناها من قلبه وتمتم: «خذلتني الحياة، لا تخذليني أنت أيضًا، أرجوكِ».

«جئتك بخبر سيفرحك كثيرًا يا جميلتي».... ضحك حسن وانتظر أن تحزر بنفسها.

«ما رأيك لو نتزوّج الشهر المقبل"؟

«أرجو أن لا تكون مزحة يا حبيبي»، ضحك وقال: «بالطبع ليست مزحة، لسنا مضطرّين لانتظار مرور سنة على وفاة والدي، هذا رأي أمّي».

كانت الفرحة تلمع في عينيها، لكنّ ملامحها تبدّلت فجأة: «ولكننا لم نجد بيتًا مناسبًا حتى الآن! ولم نختر الأثاث وو».. قاطعها قائلاً: «لا عليكِ، هذه تفاصيل بسيطة سنحسمها غدًا إن شاء الله، أما الآن فقد تأخّر الوقت واستبدّ بي النعاس».

وصل حسن، وجد أمّه متعبة جدًا، نقلها بسرعة إلى أقرب مشفى. «طمئنّي دكتور»؟؟

«في الحقيقة لقد ارتفع ضغطها كثيرًا، لا ينبغي أن تتكرّر هذه الحالة، من لطف الله أنّك أحضرتها قبل فوات الأوان، احرصوا على أن لا تبقى وحدها أبدًا، أرجوك فالأمر جدّيّ وخطير».

جلست جنى على الكرسيّ المقابل للبحر تمامًا، كما اعتادت أن تفعل دائمًا. «كم مضى من الوقت ولم تصطحبني إلى هنا! هذا المكان جنّتي يا حسن».

«ما باليد حيلة».

«حسنًا، دعنا من هذا الكلام، قلت لي على الهاتف أنّنا سنتكلّم في مواضيع جدّيّة جدًا، هيّا تفضّل، كلّي آذانٌ صاغية، لعلّك وجدت بيتًا مناسبًا لنا»؟

«نعم، لقد وجدته فعلًا يا حبيبتي، جنى أنت تعلمين وضع أمّي الصحّيّ، لقد تكرّرت حالة ارتفاع الضغط، وأخاف أن تقضي عليها الوحدة، أمّي ليس لها أحد في هذه الدنيا سوانا، فأختي «ملاك» تعيش في كندا مع زوجها منذ زمن، ولا ينوون العودة إلى هنا، لا يمكنّني تركها وحدها...

وإذ بجنى قد وقفت ولملمت أغراضها، «إلى أين»؟

«إلى بيت أهلي حيث الدلال الذي يليق بي يا حسن»

«اجلسي قليلًا من فضلك»

"لن أفعل، وتتمة الحديث هناك".

طوال الطريق لم ينطقا بكلمة واحدة. وأمام باب بيتها، خلعت جنى خاتم زواجها، وناولته لحسن. «حين لبستُه ظننت أنّه سيكون سبب سعادتي الأبديّة، أمّا وقد صار مصدر شقائي، فلا حاجة لي به».

كان حسن يقود السيّارة بسرعة جنونيّة، يضغط بيدٍ على المقود، وبيده الأخرى على الخاتم. لم يصدّق ما سمع من جنى! كاد يصاب بالجنون، وصل إلى البيت وكانت أمّه بانتظاره. «ماذا حصل لك؟ لمَ تبدو مستاءً إلى هذا الحدّ يا ولدي"؟

«لا شيء يا أمّي».

"أرجو أن لا تكون قد كلّمت جنى بالموضوع الذي حدّثتني به صباحًا، فأنا قد قلت لك رأيي، لا أقبل مهما حصل».

"أرجوك يا أمّي، أنا متعب جدًّا وبحاجة لأن أجلس وحدي".

دخل حسن غرفته، طالعته صورته مع جنى، صار ينظر إليها والمشاعر تتخبّط في داخله. لم يكن يظنّ يومًا أنّ بإمكانها أن تتخلّى عنه بهذه البساطة!

مرّ أسبوع لم تر فيه حسن، أظلمت الدنيا في وجهها، جافاها النوم. كلّما وضعت رأسها على الوسادة سمعت كلمات والدها حين دخلت المنزل بلا خاتم الزواج: «اسمعي يا جنى، أنا اليوم أحترم حسن أكثر من أي وقت مضى. لقد أثبت لي أنّه أهلٌ لأن يحفظ ابنتي طوال عمرها،

فالذي يحمل أمّه في عينيه لن يقصّر في حقّ زوجته أبدًا.

أمّا وقد فات الأوان، فيؤسفني أنّك خسرتِ رجلًا... رجلٌ أحبّكِ بكلّ كيانه وسعى ليرسم الضحكة على وجهك دائمًا».

كانت جنى تحترق بنار الندم، تسقي الوسادة ماء عينيها، وتتمنّى لو أنّها تُرجع الزمن إلى الوراء، لكن هيهات.. نظرت إلى الطاولة قرب السرير، وجدت الكتاب الذي جعلها تمشي إلى حسن مرغمة وتستمع إلى حديثه الجميل تحت الشجرة في الجامعة. تذكّرت كيف أحبّته من النظرة الأولى، صارت الذكريات تمرّ في بالها.

تذكّرت يوم أعجبتها الشقّة، وكانت تفوق المبلغ الذي نوى حسن دفعه، تذكّرت كيف أنّ أمّه اتصلت بها مساءً قائلة: «ليست عروستي الجميلة من تتمنّى شيئًا ولا أحقّقه لها»!

يومها علمت من حسن أنّ والدته دفعت له ما نقص من ثمن الشقّة، تذكرت كيف أنّ حسن لم يرفض لها طلبًا يومًا «لا أضحّي بابتسامتك هذه لحظة واحدة». صارت الذكريات تتوإلى ونيران الندم تحرق كيانها، حدّثت نفسها: «لا! ليس هذا هو الحبّ، هذه أنانية»!

استيقظ حسن على صوت هاتفه، إنّها رسالة نصّيّة من جنى. لمعت عيناه وعدّل جلسته وفتح الرسالة بينما قلبه يخفق شوقًا: «كثيرةٌ هي الأخطاء والعلل، لكنّني أحبكَ.. هلّا رضيت بشفاعة الحبّ»؟!!

نخب اشتياق

فاطمة مهدي سحمراني

عيناي داليةٌ تبوحُ بخمرها ويدُ
الـفِراقِ تُجيـدُ عـصرَ الـداليه

حتَّامَ تُعصرُ مقلتي في غربةٍ
طفحت لوصلك في الزمان الخابيه

وغدوتُ أشربها أُهدِّئُ لوعتي
وتئنُّ من خـمر العـيون الآنية

ويعـاقِرُ الأيـامَ كأسُ صبابتي
يمسي نديـمي في سنينٍ ماضيه

عبثتْ بيَّ الآثامُ تقفِرُ حـانتي
تحتـلُّ خمـري في دنـانٍ عاتيه

تأتي تراودُ سكرتي عن نفسها
فتغيبُ فيها ثُمَّ تَرجعُ ثانيه

تبيضّ عـينٌ مـا رأت خـلّانها
كعيون يعقوبَ الكظيمِ الباكيه

أي ربِّ إنّي قد شربتُ مواجعي
حتى تَمِلتُ من الدموعِ الصافيه

فتركتُ في الاقداحِ وِردَ محبّتي
ولكـأسِ نخبـك في انتشاءٍ تاليه

وغفوتُ حيثُ الحلمُ سافر في دمي
ورأيتُني أحـيا حيـاةً سـاميه

وتُظل روحي شمسُ بردك سيدي
تهبُ الأمانَ إلى القلوبِ الخاوية

لكنَّـه عـادَ اللهيـبُ بمقلـتي
ومـضى الأمـان إلـى بلادٍ نائيه

فاليقظة العشواء تقتل جنّتي
وتعيدني نحـو الحـياةِ القاسيه

إنّ الثـواني كالـدهور بهجركم
والدهـر في قـرب الأحـبّةِ ثانيه

هذا الفِراق يذيبُ جُلَّ محاسني
أرجع صِـبا مملوكـةٍ مـتفانيه

بريشة: فاطمة الزهراء عمار

عالم الغد: المستحيل هو الممكن

محمد حسن
إعلاميّ وعضو مؤسّس في المبادرة الشبابيّة لتنمية المهارات ـ لبنان

كانت الصحافة مواكبة دوماً للتطوّرات التكنولوجيّة، حتى أنّها ساهمت في كثير من الأحيان في تحضير الرأي العام العالميّ لثورات التطوّر التكنولوجيّ المتلاحقة منذ ستينات القرن الماضي وحتى اليوم. وهناك خطّ دقيق يفصل بين التوقّعات القابلة للتجربة، وبين الخيال العلميّ الترفيهيّ. إنّ الحديث عن الانترنت والاحتباس الحراريّ والذكاء الصناعيّ والهندسة الجينيّة كان محور حديث الصحافة منذ عام 1956، لكن ما تمّ الحديث عنه في ذلك الوقت لا يطابق الواقع اليوم، فلا نحن نعيش في مدينة العلم الفاضلة بسبب الإنترنت، ولا انتهت الحياة البيولوجيّة بسبب الاحتباس الحراريّ، ولا استطاعت الهندسة الجينيّة أن تحوّل فكرة سوبرمان من خيال إلى حقيقة.

هل يمكن لنا توقّع المستقبل اليوم بدرجة أدقّ من السابق؟

إنّ الزمن وحده كفيل بالإجابة عن هذا السؤال. ولكن يمكننا النظر إلى ما يحصل اليوم مع الأخذ في الحسبان التسارع الذي يفرضه تراكم التطوّر لنكوّن فكرة تحمل نسبة مقبولة من الحقيقة حول العالم الذي سيعيش فيه البشر بعد بضعة عقود. مثلاً، إنّ تناقص المسافة بيننا نحن البشر وبين الآلات التي نعتمد عليها والتي تشغل جزءاً كبيراً من حياتنا تخبرنا بأنّ هذه الآلات يمكن أن تصبح جزءاً من أجسادنا في القريب العاجل. وهذا متحقّق منذ زمن في

بعض المجالات الطبّيّة، مثل: الآلات التي توضع في الأذن لعلاج مشاكل السمع، أو البطاريّات الخاصّة بتنظيم عمل القلب... وإذا استمرّ التطوّر في هذا المجال، وهو مستمر ومتسارع، فإنّ الهاتف لن يبقى في اليد، بل سيصبح قطعة صغيرة تُزرع في الدماغ، وتتصل مباشرة بالإنترنت فنطّلع بشكل مباشر على أخبار اليوم ونتواصل مع من نريد. وبدلاً من أن ننظر إلى شاشة ما في يدنا أو على الحائط، ستقوم تلك القطعة الصغيرة باستثارة مناطق خاصّة من الدماغ لتتشكّل الصورة في دماغنا وتراها أعيننا دون أن تكون موجودة خارج أجسادنا. **فإذا كان هذا واقع المستقبل داخل أجسامنا، فكيف سيكون العالم من حولنا عندها؟!**

بالعودة إلى القاعدة التي أرسيناها، **ما الذي يحصل اليوم؟** تقنية الواقع المعزّز Augmented Reality تُستعمل في مجالات التعليم والترفيه والطبّ وغيرها. ومع تسارع تطوّر هذا المجال، فلن يكون هناك داعٍ لوجود التلفاز ولا لتقنيّة الأبعاد الثلاثيّة. سيجلس مذيع الأخبار وسط غرفة الجلوس أثناء نشرة الأخبار، وسنكون نحن وسط المعركة بين الرماح والسيوف أثناء مشاهدتنا لفيلم تاريخيّ مشوّق، وسيقوم تلاميذ المدارس وطلّاب الجامعات بالتجارب الكيماويّة، وبتشريح الحيوانات دون خطر؛ لأنّ المواد التي سيتعاملون معها ستكون ملموسة، ولكن رقميّة غير حقيقيّة وكلّ ذلك بفضل **تقنيّة الواقع المعزّز**.

أمّا بالنسبة للإنترنت والآلات الذكيّة الملموسة الموجودة خارج أجسامنا ومن حولنا، فما هو مستقبلها؟

يقول الخبراء: إنّ الإنترنت سيصبح جزءاً من كلّ الآلات وستصبح كلّها ذكيّة. نحن اليوم نعرف الهاتف الذكيّ، غداً، سيصبح لدينا المنزل الذكيّ الذي يعرف متى يُضيء نور الغرفة، ومتى يُطفئه بناء على دخول الشخص أو خروجه، و يعرف متى وكيف يشغّل المكيّف بحسب الحرارة الخارجيّة لتبريد الغرفة أو تدفئتها، أو حتى يغلق النوافذ أو يفتحها بدلاً من تشغيل المكيّف لتوفير الطاقة. وفي المنزل الذكي، يمكن للبراد أن يفتح وحده بمجرّد استشعار حرارة اليد التي تمتدّ نحو بابه، فيُخرج للشخص الوجبة المناسبة له بعد أن يحتسب عدد الوحدات الحراريّة التي استهلكتها اليوم.

بعد هذه الإطلالة المختصرة على مستقبل الأشياء المحيطة بنا والموجودة داخل أجسامنا، **ما هو مستقبل حياتنا الاجتماعيّة؟**

تنقسم آراء المحلّلين إلى قسمين: قسمٌ يقول بتحوّل حياتنا الاجتماعيّة بشكلٍ كامل إلى حياة رقميّة مبرمجة بعيدة كلّ البعد عن فطرتنا الإنسانيّة، ومنسجمة مع الآلات التي تحكم مختلف نواحي حياتنا.

وقسمٌ آخر يقول: إنّ فطرتنا الإنسانيّة أقوى من أيّ تحوّل، وإنّ التغيّر سيطال شكل حياتنا الاجتماعيّة، لكنّنا سنبقى اجتماعيّين غير قادرين على الاستغناء عن بعضنا.

قد نستغني عن الإنسان في كثير من

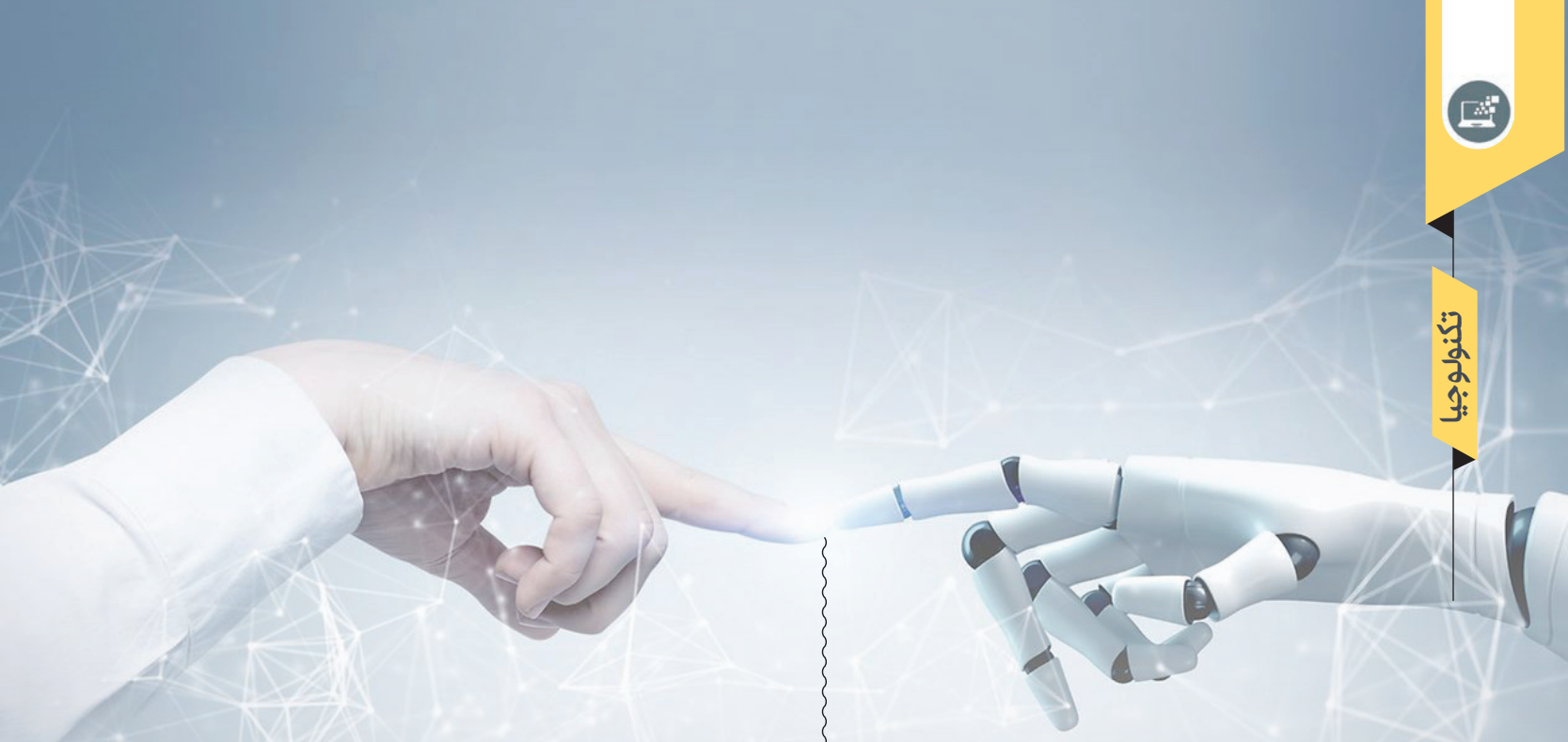

المجالات الطبّيّة والصناعيّة والزراعيّة وحتى التعليميّة، إن اعتبرنا أنّ التعليم هو مجرّد تلقين ونقل معلومات، ولكن يستحيل أن نستغني عن الإنسان في المجالات النفسيّة والتربويّة والتنمويّة والإرشاديّة والعاطفيّة والروحيّة. وهنا يمكن لنا الحديث عن نوعين من الناس، يتفاعل كلّ نوع مع المستقبل بطريقة مختلفة.

النوع الأول: هو الإنسان غير المتوازن الذي ينغمس في التطوّر بطريقة غير واعية، فيصبح أسير الآلة، وينسى أنّه هو من اخترعها أساساً وهو القادر على أن يخترع ما هو أكثر تطوراً منها، فيهمل الجانب النفسيّ والاجتماعيّ والروحيّ لصالح الجانب العقليّ الرقميّ المحض ويقع في دوّامة الاستهلاك التكنولوجيّ الرقميّ والمعرفيّ. فيبتعد عن الإنتاجيّة ويصبح صورة جوفاء للإنسان المتطوّر شكلاً لا مضموناً. يعرف الكثير وعاجز عن إنتاج القليل.

أمّا النوع الثاني، فهو الإنسان المتوازن الذي يعيش في عالم متطوّر يسخّر كلّ ما فيه لمصلحته، فيرتاح من كثير من الأعباء الفيزيائيّة لصالح نموّه النفسيّ والاجتماعيّ والروحيّ. وسيكون أقدر على الوصول إلى المعرفة، وسيتمتع بقدر أكبر من المهارة في استثمارها لتحقيق التكامل الذي خُلق لأجله أساساً. وسيكون صورة نموذجيّة للإنسان المتطوّر شكلاً ومضموناً. يعرف الكثير، وقادر على إنتاج المزيد. والأهمّ من ذلك كلّه، سيكون همّه الإنتاج لأجل الأهداف الإنسانيّة السامية، وليس الإنتاج للإنتاج دون أيّ هدفيّة واعية.

مصطلح ومعنى

الكاريزما

حوراء هزيمة
طالبة دكتوراه في كلية الحقوق ـ لبنان

مصطلح شائعٌ بين الناس، كثيرًا ما يستخدم لوصف الشخصيّات التي تستطيع لفت النظر، والتأثير في الآخرين.

لكن ما هو التعريف الدقيق لهذا المصطلح؟ وما هي دلالاته؟

اختلفت معاني الكاريزما وتعدّدت بتعدّد المجتمعات واختلاف ثقافاتها، حتى عدّه بعض الباحثين مفهومًا غامضًا، ولا يمكن إيجاد معنىً واحدٍ للكلمة في اللّغات؛ لأنّها بطبيعتها من الكلمات الغامضة التي يعتبر غموضها سرّ سحرها، ولعلّ الرغبة في استعمالها تنشأ من المعنى الغامض الذي يجول في خاطر من يستعملها، فهي قد تعني سحر الشخصيّة أو الشخصيّة الملهِمة أو الشخصيّة الآسرة، أو الجاذبيّة والسحر في شخصيّة القائد، التي دفــع الجماهير لتقديسه أو المهابة منه[1].

(1) - يراجع: عبّاس، ثامر: تقديس الزعامة(دراسة في ظاهرة الكاريزما السياسيّة)، ط1، دار ومكتبة عدنان، بيروت، 2015م، ص487.

ونظــراً لــهذا التنوّع، لا بدّ من الرجوع إلى معنى الكلمة في اللغة، وكيفيّة تطوّرها.

نشأة المفهوم وتطوّره:

الكاريزما كلمة ذات أصل يونانيّ " charisma"، وتعني "الهديّة"، وقد استُعملت بداية بمعى الموهبة الإلهيّة[2].

استخدمها المسيحيّون الأوائل للدلالة على المواهب التي يختصّ بها الله أفرادًا معيّنين، ثمّ انتقلت الكلمة إلى الفلاسفة اللاهوتيّين المسيحيّين. ويقال- أيضًا- إنّ مصطلحcharisma عند الأغريق يشير إلى النعمة الإلهيّة أو إلى خاصّة خارقة تتميّز بها شخصيّة فرد معيّن تجعل صاحبها يمتلك قدراتٍ ومواهبَ، تفوق ما هو إنسانيّ وما هو طبيعيّ، ولهذا فإنّ المصطلح برأيهم يستخدم في نطاق الأدب للدلالة على الهبة الإلهيّة[3].

هذا وقد أعطى عالم الاجتماع "ماكس فيبر" مصطلح

(2) -يراجع: مصطفى، نيفين عبد الخالق: قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثاليّة للسلطة لماكس فيبر(دراسة مقارنة)، مجلة العلوم الاجتماعيّة، الكويت، شتاء 1986م، ص 147 .

(3)- (م.ن)، ص43.

الكاريزما صبغة سياسيّة في كتابه "الاقتصاد والمجتمع"[1]. واعتبره نوعًا من أنواع السلطة، حيث صنّف السلطات إلى ثلاث[2]: السلطة التقليديّة، والسلطة العقلانيّة القانونيّة، والسلطة الكاريزميّة التي تستند شرعيّتها على الإخلاص لشخصيّة استثنائيّة مثاليّة.

وتنقسم السلطة الكاريزميّة إلى نوعين؛ فقد تكون لصيقةً بشخص القائد، فتكون الخاصّيّة الكاريزميّة راجعة إلى القيادة، وقد تكون لصيقةً بالسلطة، فتكون الخاصّيّة الكاريزميّة راجعةً إلى السلطة لا إلى الشخص[3].

وقد أخذ مصطلح الكاريزما بعدًا اجتماعيًّا؛ حيث يطلق في بعض الأحيان على الرياضيّين والفنّانين والكتّاب، وحتى على أيّ فردٍ له حضوره في المجمتع (مدير شركة، أو موظّف، أو مدرّس، أو حتّى تلميذ...).

يعرّف الدكتور في علم النفس "هاورد فريدمان" الكاريزما بأنّها "حضورٌ مميّزٌ ومثير"؛ كأن يدخل شخصٌ له حضوره المميّز إلى مكان ما، فيلفت انتباه الآخرين، بل تسيطر شخصيّته في ذلك المكان؛ فالطاقة الإيجابيّة التي يحملها تنعكس على الآخرين وتمنحهم الحياة والحيويّة والنشاط. وفي صميم وأعماق الكاريزما ثقة قويّة بالنفس وقدرة على إسقاطها على الآخرين[4].

خلاصة القول، إنّ الكاريزما مصطلح يعبّر عن خاصّيّة في السلوك الإنسانيّ، ويعني أساساً امتلاك صفات تؤهّل الشخص ليكون مؤثّرًا في الآخرين. يقول عالم النفس الاجتماعيّ رونالد رياجو: "ليست الكاريزما موهبة أو منحة من السماء، وليست صفة يمكن أن ترثها أو تولد معك، إنّما هي شيء تستطيع تنميته إذا توفرت لديك القدرة على تنمية هذه الصفة في شخصيّتك".

وعليه لا بدّ أن نسعى لاكتساب الكاريزما؛ لنكون مؤثّرين في مَن هم حولنا، فننشر أفكارنا الحقّة، والتوجّهات الصحيحة في محيطنا الاجتماعيّ.

.....

(1)- يراجع: فيبر، ماكس: الاقتصاد والمجتمع، ترجمة محمد التركي، المنظّمة العربيّة للترجمة، ط1، بيروت،2015 م، ص 491.

(2)- يراجع: مصطفى، (م.س)، ص-137 138.

(3) - يراجع: مصطفى، (م.س)، ص 142.

(4)- يراجع: شحرور، ليلى: سحر لغة الجسد: الكاريزما القياديّة، ط1، الدار العربيّة للعلوم، بيروت، 2010م، ص -15 16 .

السوشيال ميديا تقتحم.. والشباب يغرق!!

محمد باقر كجك
كاتب وباحث في الفكر التربويّ – لبنان

يغرق كثير من الشباب اليوم في عالم السوشيال الميديا بسبب الانفتاح، وسهولة التواصل مع الجنس الآخر عن طريق تلك الوسائل، ما يؤدي إلى كسر الحواجز، وإلى الوقوع في الإعجاب، والحبّ، وبطبيعة الحال فإنّهم يعبرّون عن مشاعرهم المتبادلة من خلال الرسائل الشفويّة والكتبيّة، أو طريق الرموز الموجودة بوفرة على وسائل التواصل، وهي التي تُسمّى بـ: «Emoji» وهي عبارة عن الوجوه والرموز المستخدمة في كتابة الرسائل الإلكترونيّة.

والسؤال الذي يطرح في هذا المجال هو الآتي: **كيف يمكن أن يتجنّب الشاب والفتاة- على حدٍّ سواء- الوصول إلى هذه المرحلة من كسر القيود والحواجز في التواصل؟ وكيف يمكن مساعدتهما على مقاومة عواطفهم الجيّاشة**، وكيف يمكن حثّهم على التفكير بعقلانيّة في هذه المرحلة الحسّاسة التي تسيطر فيها العاطفة على العقل تماماً، خاصّة أنّ بعض الفتيات يصدّقن وعود الشباب بالزواج؟

الجواب:

إنّ هذا **الأمر يرجع إلى التربية التي**

يتلقّاها الإنسان في منزله، وإلى الأسس الأخلاقيّة التي ينمو عوده ويشتد عليها، والتي تؤهله لكي يكون نفسه أينما كان، سواء أكان في الساحات الواقعيّة أم الافتراضيّة. فالمشكلة الأساس التي يعاني منها الشباب تكمن في ضياع هويّة السير والسلوك.

نحن في هذه الدنيا نسير نحو الله تعالى، والوصول إليه بقلب سليم هو الغاية والحلم؛ لذلك فإن مَن يدخل إلى ساحة التواصل الواقعيّ والافتراضيّ عليه أن يعيّن هويّته الفكريّة وأن يحدّد اتجاهاته الثقافيّة، وأسلوب عمله ومنهجه في ذلك، وإلا فإنّه في الغالب سيقع في أخطاء وخيمة وغفلات متمادية. والواقع الافتراضيّ أشدّ خطورة كما تعرفون.

الحلّ هو في تهذيب النفس بطرقها المعروفة، ومحاولة كبح النفس عن التواصل مع الجنس الآخر إلا في مقدار الضرورة، وضمن الحدود والضوابط الشرعيّة التي أكّدت عليها التعاليم الإسلاميّة؛ فقد بيّنت التجارب أنّ التساهل في ذلك مظنّة الفساد.

والأمر الآخر، هو الفراغ! فقد جاء في الروايات الشريفة أنّ «**الفراغ مفسدةٌ**»[1]؛ فليس ثمّة أمر أفسد من شاب فارغ ولديه وقت فراغٍ، وبين يديه هاتفٌ يستطيع تصيّد الناس من خلاله.

لذلك، أتوجّه إلى الأخوات والفتيات للتأكيد على أنّ من واجبهنّ أن يبالغن في كلّ ما يتصل بالحياء، والمحافظة على الحدود الشرعيّة في التواصل على وسائل التواصل الاجتماعيّ؛ لأنّ الذئاب كثرٌ، والمغرضون أكثر، والخبثاء أشدّ مكراً...، ففي وسائل التواصل لا أسرة تحمي الفتاة، ولا أحد يرى غير الله تعالى.

وأمّا في ما يرتبط بموضوع الزواج وما يرتبط به، ففي الحقيقة إنّ الزواج أمر واقعيّ جداً، وبما أنّه لا بدّ من دخول البيوت من أبوابها، فعلى الشاب أن لا يسلك هذا السبيل؛ لأنّ مفاسده كثيرة وسيسوّل له الشيطان أن يتنقّل بين هذه وتلك حتى يستقر على الخيار الأنسب بنظره، وتقع جراء ذلك ضحايا ومشاكل كبيرة. وأمّا الفتيات، فعليهنّ بشكل بديهيّ وضروريّ أن يضعن حدوداً قاسية، وأن يطلبنَ من الشاب الدخول إلى المنزل وبيت الأهل؛ لأنّ هذا البيت هو الحاضن الأساس للفتاة مهما حصل.

(1) - يراجع: المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1403هـ، ج74، ص419.

اخترنا

أن نكون منبراً للتعبير عن آرائكم وتوجهاتكم،

وميداناً لنشر إبداعاتكم ومساهماتكم العلميّة والفكريّة والأدبيّة والفنيّة...

يسرّ مجلة «مع الشباب»

أن تفتح صفحاتها الورقيّة والإلكترونية لـ:

- استقبال مشاركاتكم الكتبيّة في أبوابها كافّة (ملف العدد، تكنولوجيا، تربية،...)
- نشر إنجازاتكم وإنتاجاتكم الفكرية والفنيّة (كتاب، فنّ تشكيليّ، أفلام قصيرة، كاريكاتور...)
- إبداء آرائكم حول مقالات المجلة وموضوعاتها؛ من خلال كتابة مقال نقديّ موضوعي يعكس رؤية كاتبه.
- نشر النشاطات الشبابيّة، التي ترغبون تغطيتها ونقلها عبر موقعها الإلكترونيّ

وأن تدعوكم للمشاركة في فقرة «قضايا الشباب»

فقرة متنوّعةٌ بموضوعاتها، تفتح لكم المجال لطرح:

- مشكلة تواجهكم (تربوية، اجتماعية، نفسيّة...)
- سؤال أو استفسار أو إشكال يحتاج إلى توضيح في مختلف الموضوعات (عقيدة وفكر، تربية، اجتماع،...)
- الموضوعات والقضايا التي تجدونها محلّ اهتمامكم
- تجاربكم... واحتياجاتكم
- مشاكلكم
- اقتراحاتكم وآرائكم

يرافقكم في هذه الفقرة فريق من المتخصّصين؛ للإجابة عن أسئلتكم، واقتراح الحلول المناسبة لمشكلاتكم...

Email: Among.shabab@gmail.com

Whatsapp: 09613835051

telegram: t.me/maashabab

website: maaalshabab.iicss.iq

facebook: @maaalshabab

twitter: @maaalshabab

instagram: maaalshabab

رسالة مجلّتنا

الميديا
مفهومها المعاصر
وعلاقتها بالإعلام الكلاسيكي

حسن الزين
إعلامي وباحث في الدراسات الثقافية ـ لبنان

بطاقة الكتاب:

ـ اسم الكتاب:

الميديا ـ مفهومها المعاصر وعلاقتها بالإعلام الكلاسيكي.

ـ اسم المؤلّف:

خضر إبراهيم حيدر

ـ بيانات النشر:

إصدار المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، دار الكفيل، بيروت ط1، 2008/ 1939هـ.

ـ جاء الكتاب في 199 صفحة من القطع الصغير.

محتوى الكتاب:

ينطلق الكاتب في هذا الكتاب من قضية ثورة الاتصالات، التي سُمّيت اختصاراً وتكثيفاً بـ «ثورة الميديا». حيث لم تعد الحواجز التقليدية للمجتمعات ولا الحدود الجغرافية للدول تشكّل عائقاً أمام التواصل بين مواطنيها. وإذا كان لكل زمان ظواهره غير العادية فلا ريب أنّ الميديا هي ظاهرة استثنائية تحمل الكثير من الميّزات والخصائص التي تختصر أمداء الزمان والمكان في آن. فلا يقوم تواصل فعّال بدونها، ولا تُرسم سياسات أو تُبنى اقتصادات ولن تنشب حروب وثورات للتغيير الاجتماعي إن لم تُلقِ عليها تقنيات الصورة والصوت لمساتها الأثيرية، وتمدّها بما ينبغي لها أن تبلغه من غايات.

من هذه النظرة الإجمالية والمكثفة لظاهرة الميديا ينطلق هذا البحث ليضيء فضاء أثيرياً رحباً، يعرض إلى تطوّره على مرّ التاريخ، ويستوضح مفهومه بجوانبه اللغوية والاصطلاحية والمعرفية. كما ينظر في الأسباب التي جعلت الميديا إمبراطورية للسيطرة الناعمة على المجتمعات والدول، وصولاً إلى زمن بات الفرد فيه قادراً على صناعة عالمه المعلوماتي الخاص يُنشئه أنَّى شاء ومتى أراد.

تتوزع أبحاث هذا الكتاب على أربعة فصول وخاتمة نقدية:

- **الفصل الأول:** جاء بعنوان مفهوم الميديا، وقد جرى فيه تحليل الدلالة اللغوية والاصطلاحية ، وعلم الإعلام (الميديولوجي)، حيث تم تحديد ثلاثة عصور ميديولوجية هي: الإنتاج الخطي، الإنتاج المطبوع، والإنتاج السمعي ـ البصري، كما تطرّق إلى أنواع الميديا، وعلاقتها بثورة الاتصالات، والنظام المنهجي لعملها، ومستوياتها، وتحديد مفهومي وسائل الإعلام ووسائط الإعلام.

- **الفصل الثاني:** يبيّن الفروق الوظيفية بين الميديا والإعلام الكلاسيكي، وفيه عودة إلى تاريخ الإعلام، ووظيفته، وصفاته، وموقعه في الحضارات القديمة، ثم ينتقل إلى الظروف المعاصرة ليشير إلى الإعلام التفاعلي،

وأنواع التلفزيون، ودور الأقمار الصناعية، والهواتف الذكية، والمدوّنات الإلكترونية، ويتناول أبرز النظريات المتعلّقة بالميديا، على المستويات السياسية والأخلاقية.

- **الفصل الثالث:** يتناول ظاهرة مواقع التواصل الاجتماعي (social media)، وتحليل رموزها ووظائفها ومخاطرها، مع جولة على كل موقع، وتبيان المغزى من تأسيسه، وتزاحم الحكومات وكبريات الشركات العالمية على تملّك هذه المواقع، لما لها من تأثير في سيرورة الحياة، وما تدرّه من أرباح

في نطاق ما سمِّي بأمبراطوريات المال الإعلامية.

- **الفصل الرابع:** وهو بعنوان «الميديا والسياسة»، ويضيء على دور الميديا في خدمة المصالح السياسية، والنظريات المعتمدة في هذا المجال، وثقافة الترهيب الإعلامية، وتأثير التلفزة الفضائية، والتحول من الميديولوجيا إلى الأيديدولوجيا.

- الخاتمة النقدية، جاءت تحت عنوان «نقد الميديا ـ استعمار الصورة والصوت»، وفي سياقها توضيح للكيفية التي استثمرت فيها الدول الكبرى تقنيات الصورة والصوت في السيطرة على مقدرات الدول والشعوب، والتحكم بمختلف مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولا سيما، على سبيل المثال، ما فعلته الأمبراطوريات الإعلامية في الغرب حيث يتّضح بجلاء الوجه الإعلامي للاستعمار المعاصر.

مميّزات الكتاب:

بعد الاطلاع على محاور الكتاب وقراءة مضامينه، نلحظ أنّ الكتاب قد شّخص بدقّة مفهوم الميديا وعدّد مزاياها وتاريخها، وميّز نقاط الفرق بين الميديا والإعلام، وقد أجاد في تجميع أكبر كمّيّة من المفاهيم والنظريّات والمعلومات والمعطيات التكنولوجيّة والتقنيّة، وصاغها ولخّصها بأسلوبٍ منهجيّ علميّ شيّق يستوفي الشروط الأدبيّة والعلميّة، لكن يُلحظ أنّ الكتاب موجّه للنخب والمتخصّصين.

قراءة نقدية:

ـ على المستوى النظري: يُسجّل على هامش القراءة بعض الملاحظات النقديّة، أبرزها:

- ابتعاد الكتاب عن اللغة المبسّطة المفهومة من قبل القراء الشباب، فقد استغرق الكاتب في المصطلحات، وجنح نحو القراءة التاريخيّة، والقراءة التأسيسيّة التقنيّة لنظريّات الإعلام والاتصال والميديا، وهي أطر مهمّة لفهم القضيّة ودراستها في بعدها النظريّ بكلّ تأكيد.

- وفي السياق نفسه، نضيف إلى النظريّات التي ذكرها الكاتب، نظريّة الاستخدامات والإشباعات التي لم يسلّط الضوء عليها بصورة وافية، على الرغم من كونها أكثر النظريّات المفسِّرة لسلوك مستخدمي الميديا، فلها قدرة مهمّة على بيان دور شبكات التواصل الاجتماعيّ في تشكيل الرأي العام، وذلك بالنظر إلى الإشباعات التي تُقدِّمها شبكة الإنترنت لمستخدميها بأصنافها المختلفة (إشباعات المحتوى، وإشباعات الاتصال) بعيداً عن الإعلام التقليديّ الذي هجره الجيل الجديد بنسبة 80%.

- لا بد من دراسة أوسع وأشمل للميديا بملاحظة كل التطوّرات التقنية والبرمجية، فضلاً عن الانتشار الواسع، والتنوّع في القضايا المطروحة، إذ الموضوع يستحقّ المتابعة والتحديث الدائمين.

مكّة المكرّمة

سكينة حسن
باحثة في الدراسات الإسلامية - لبنان

سلامٌ عليكِ يا مكّة..

يا حرمَ الله الآمن...

سلامٌ عليكِ حين وطأَ أرضَك الأنبياء، صالحٌ بعد صالح..

سلامٌ عليكِ حين تمتم الخليل لقرّة عينه إنّي أرى... تبسّم ثغر الغلام ممتثلاً، ففداه ربُّه بذبحٍ عظيم..

سلامٌ عليكِ حين رفع إبراهيم وإسماعيل قواعد بيتك العتيق...

أحرمتُ إليكِ من كلّ شيءٍ إلّا الشوق

وجئت راجيًا خلع نعل ذنوبي، وولوج الوادي المقدّس حافيًا..

هنا البيت العتيق، هنا مقام إبراهيم، هنا زمزم، هنا الحطيم...

وهنا أنبت الله اليتيم نباتًا حسنًا، وأدّبه تأديبًا حسنًا، فأينع شجرةً طيّبة رحمةً للعالمين..

وهنا الوحي، هنا الآيات البيّنات، هنا الرحمة واللطف الجميل..

سلامٌ عليكِ يا مكّة كلّما شدّ الرحالَ إليكِ شائقٌ، وغار في الوجد من لم يستطع إليكِ سبيلاً.

تاريخ مكّة:

مسقط رأس رسول الله محمدﷺ، تقع في الحجاز في شبه الجزيرة العربيّة، وهي من أقدس مدن الإسلام، اسمها المشهور مكّة، لكنّها ذكرت في القرآن الكريم بأسماء أخرى منها: بكّة، أمّ القرى، البلد الأمين. وقد أشار المؤرّخون إلى أسماء متعدّدة منها: أمّ رحم، الحاطمة، الرأس، صلاح، العرش والمقدّسة.[1]

تقع مكّة في وادٍ محاطٍ بجبالٍ ذات شعاب، ليس فيها شجرٌ ولا ثمر: {وادٍ غير ذي زرع}، مناخها صحراويّ جاف لوقوعها في منطقة مداريّة، ومياهها شحيحة ما خلا بئر زمزم، الذي يعدّ مصدر المياه الطبيعيّ الوحيد في المدينة المقدّسة.

كانت مكّة قريةً صغيرة متواضعة سكنها بنو النبيّ آدمعليه السلام، إلى زمن طوفان النبيّ نوحعليه السلام. ويذهب كثير من المؤرّخين والمفسّرين إلى القول بقدم المدينة والبيت العتيق.

بدأ توافد الناس إليها بعد أن أسكن الخليل إبراهيمعليه السلام زوجته هاجر وابنه إسماعيلعليه السلام،

(1)- يراجع: الخليلي جعفر: موسوعة العتبات المقدّسة، ط2، مؤسسة الأعلميّ، بيروت، 1987م، ج2، ص13.

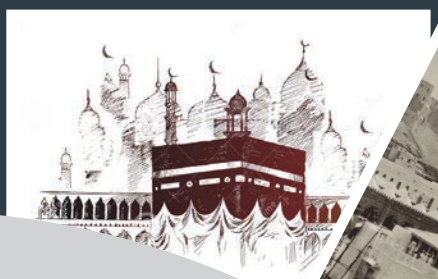

﴿رَبَّنَا
إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ (سورة إبراهيم، الآية37). وقد غاب عنهما مدّة ليعودَ، فيجد رحمة الله قد أحيت ما كان رميماً؛ حيث تفجّر زمزم ينبوعاً، وسرت الحياة في عروق الوادي المقدّس.

شرع إبراهيم عليه السلام، بمعيّة ولده إسماعيل عليه السلام بإعادة بناء البيت العتيق، الذي أصبح محور اقتصاد مكّة بعد الأذان بالحجّ إليه.

بعد قبيلة جرهم، وقبيلة خزاعة التي راجت في عهدها عبادة الأوثان، آل أمر مكّة إلى قريش، وهي فرعٌ من قبيلة كنانة، تحت إمرة قصيّ بن كلاب الجدّ الرابع لرسول الله صلى الله عليه وآله، الذي قام بإصلاحاتٍ واسعة غير مسبوقة النظير في البلدة والبيت الحرام.

وفي سنة 571م، قدم البلدَ الأمين صاحب جيش الفيل أبرهة الحبشيّ، سعياً لهدم الكعبة، فاستقبلته الطير الأبابيل بحجارةٍ من سجّيل، وفي العام نفسه شاءت الرحمة الإلهيّة أن يسطعَ نور محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله على العالم، حتى إذا بلغ أربعين سنةً حُمِّل الأمانة الإلهيّة، فكان نِعْمَ بشيرٍ ونذير[1].

معالم مكّة:

المسجد الحرام:

هو المسجد الأعظم في الإسلام، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **"صلاةٌ في مسجدي تعدل عند الله عشرة آلاف صلاة في غيره من المساجد، إلّا المسجد الحرام، فإنّ الصلاة فيه تعدل مئة ألف صلاة"**[2].

(1)- يراجع: الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة، (م. س)، ج2، ص52.

(2)- المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983م، ج96، ص381

وهو من المساجد الثلاثة التي تُشدّ إليها الرحال، في الحديث: «**لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى**»[1]

تتوسطه الكعبة المشرّفة، التي رفع قواعدها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، كما حدّثنا القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ **(سورة البقرة، الآية127)**؛ لتكون قبلة للمسلمين. وللكعبة أركانٌ أربعة: الركن الأسود، الركن الشاميّ، الركن اليمانيّ، والركن العراقيّ، وفي أعلى جدارها الشماليّ يوجد ميزاب الرحمة المطلّ على حِجر اسماعيل.

يضمّ المسجد الحرام- أيضاً- مقام نبي الله إبراهيم عليه السلام، حجر إسماعيل، الصفا والمروة، بئر زمزم، الحجر الأسود والعديد من المشاعر المقدّسة الأخرى.

مشاعر الحجّ المقدّسة:

تحتضن مكّة مشاعر الحج المقدّسة، كما أنّ فيها عددًا كبيرًا من الآثار الإسلاميّة نذكر منها:

عرفات: يقصدها الحجيج في اليوم التاسع من ذي الحجة لأداء أوّل واجبات الحج.

مِنى: يقصدها الحجيج في أيام التشريق الثلاثة (العاشر والحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة) لرمي الجمرات (الحصى) بعد جمعها من المزدلفة. كما أنّ فيها يتم الذبح أو النحر، والحلق أو التقصير.

غار حراء: هو الغار الذي كان يتعبّد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، والذي نزل فيه الوحي الإلهيّ. يقع في أعلى جبل النور، شرقيّ مكّة.

غار ثور: هو الغار الذي لجأ إليه النبي صلى الله عليه وآله أثناء الهجرة، يقع جنوب مكّة.

(1)- النيسابوريّ، أبو الحسن: صحيح مسلم، (لا ط)، دار الفكر، بيروت، (لا ت)، ج4، ص126.

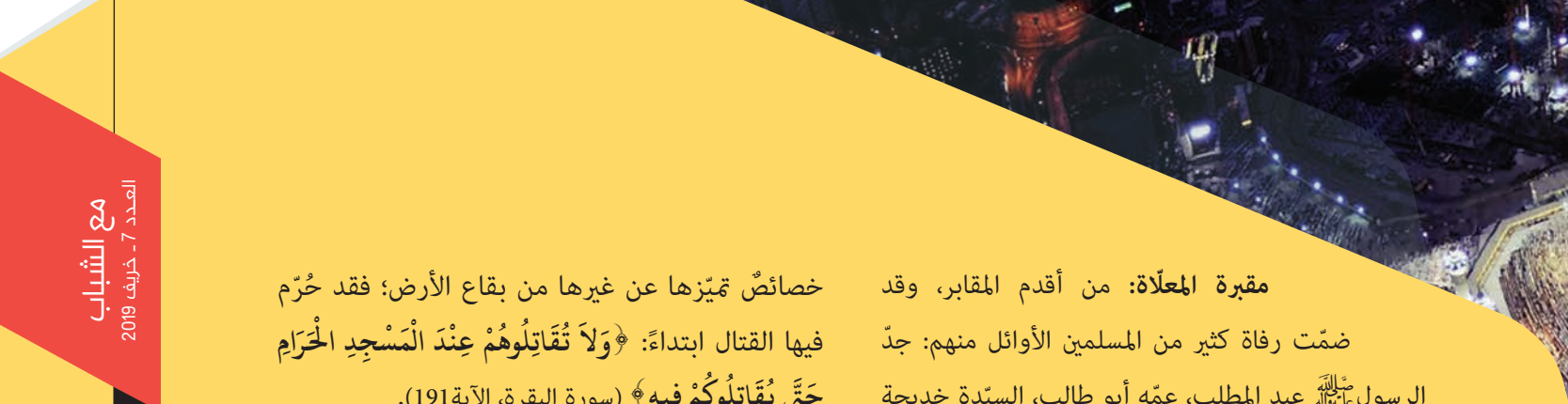

مقبرة المعلّاة: من أقدم المقابر، وقد ضمّت رفاة كثير من المسلمين الأوائل منهم: جدّ الرسول ﷺ عبد المطلب، عمّه أبو طالب، السيّدة خديجة وابنها القاسم ابن رسول الله ﷺ، وأول شهيدين في الاسلام ياسر وسميّة.

مساجد مكّة:

تضمّ مكّة عدداً من المساجد المهمّة أبرزها: مسجد الخيف، مسجد النحر، مسجد البيعة، مسجد غدير خم، مسجد الجن، مسجد الراية.

فضائل مكة وخصائصها:

ورد في الحديث: **" أحبّ الأرض إلى الله تعالى مكّة، وما تربةٌ أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من تربتها، ولا حجرٌ أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من حجرها، ولا شجر أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من شجرها، ولا جبال أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من جبالها، ولا ماء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من مائها"**[1].

وعن رسول الله ﷺ: "إنّ مكّة بلدٌ عظّمه الله وعظّم حرمته.."[2].

ولأجل حرمتها عند الله - عزّ وجلّ - كانت لها خصائصٌ تميّزها عن غيرها من بقاع الأرض؛ فقد حُرّم فيها القتال ابتداءً: ﴿**وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ**﴾ (سورة البقرة، الآية191).

وعن رسول الله ﷺ: "..ألا إنّ الله قد حرّم مكّة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرامٌ بحرام الله إلى يوم القيامة، لا ينفر صيدها، ولا يعضد شجرها، ولا يختلى خلاها، ولا تحلّ لقطتها إلّا لمنشد"[3].

والحرمة تنسحب على كلّ ما فيها من الصيد ونزع الشجر وذبح الصيد وتملّك اللقطة في الجملة.

ومن خصائصها حرمة دخول غير المسلمين إليها: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾**(سورة التوبة، الآية28).**

أَيَا أمّ القرى ويا أمن الخائف المستجير، بوركتِ...

بوركتِ يوم حباكِ ربّكِ واجتباكِ واختارك منبتًا للصادق الأمين، وأوّل مهدٍ للرسالة المحمّديّة. فارتضاكِ لنفسه حرمًا ولبيته العتيق سكناً، وغرس في أفئدة العاشقين أشجار الشوق إليكِ. بوركتِ يا مكّة...

(1)- الصدوق، محمد بن بابويه: من لا يحضره الفقيه، (لا ط)، منشورات جماعة المدرّسين، قم، (لا ت)، ج2، ص243.

(2)- السيوطيّ، جلال الدين: الدرّ المنثور، (لا ط)، دار الفكر، (لا ت)، بيروت، ج1، ص124.

(3)- المجلسّي، بحار الأنوار، (م. س)، ج21، ص135.

المعلّم الثاني الفارابي

ليلى قبيسي
مجازة في علم النفس ـ لبنان

ملامح من شخصيّته:

الفيلسوف الإسلاميّ أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أُوزَلَغ الفارابيّ، وُلد عام 257هـ في بلدة "وسيج" بالقرب من مدينة فاراب، من أمٍّ تركيّة وأبٍ فارسيّ[1]، تميّز بشرافة نسبه، وحياته الميسورة، لكنّه عدل عن هذه الحياة وزهد فيها؛ حيث أعرض عن منازل الرِّفعة والجاه والشهرة. عاش في كنف سيف الدولة، الذي أغدق عليه المال؛ لكنّه كان ينفق أربعة دراهم فقط في النهار لتلبية حاجاته. مالَ إلى العزلة والتأمّل، إلى أن تُوفّي عام 339هـ.

يُعدّ "الفارابي" من أشهر الفلاسفة المسلمين، ومن أكبر فلاسفة القرن الرابع الهجريّ. كان ملمّاً بالأدب العربيّ، والمنطق، والفلسفة، والرياضيّات، والموسيقى، والسياسة، وعلم الاجتماع. وقد تميّز بسعة ثقافته وإحاطته بالعلوم وقدرته على تعلّم عدّة لغات؛ حيث كان يجيد الفارسيّة، والتركيّة، الكرديّة، والعربيّة[2].

سُمّي بـ "المعلِّم الثاني" نسبةً إلى "أرسطو" المعلِّم الأوّل؛ لأنّه حذا حذوه في الاهتمام بعلم المنطق، وشَرَح مؤلّفات أرسطو المنطقيّة.

مؤلّفاته:

تنوّعت مؤلّفات "الفارابي" بين مقدّمات ومختصرات، شروح وتعليقات، ردود على المتقدّمين والمعاصرين، ومؤلّفات خاصّة عرض فيها آراءه.

فكان من المقدّمات والمختصرات: "ما ينبغي أن يُقدّم قبل تعلّم الفلسفة"، و "رسالة في أغراض ما بعد الطبيعة"، و "المختصر الكبير في المنطق" وغيرها.

أمّا من الشروح والتعليقات: "شرح كتاب المقولات لأرسطو"، و "شرح كتاب العبارة لأرسطو"، و "شرح كتاب الجدل لأرسطو".

ومن الردود على المتقدّمين والمعاصرين: "الرّد على

(1)- يُراجع: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا، (لا ط)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص603.

(2)- يُراجع: صليبا، جميل: تاريخ الفلسفة العربيّة، ط3، دار الكتاب العالميّ، لبنان، 1995م، ص-135 140.

ابن الراونديّ في أدب الجدل"، و "مقالة في وجوب صناعة الكيمياء والردّ على مبطليها" وغيرها.

وأمّا من كتبه الخاصّة: "رسالة في العقل"، و "رسالة في ماهيّة النفس"، و "كلام في الرؤيا"، و "كلام في العلم الإلهيّ" وغيرها. وقد تميّزت مؤلّفاته بدقّة معانيها، وإيجاز أفكارها التي تحتاج إلى شرح وبيان مفصّل.

فلسفته:

قدّم الفارابيّ من خلال فلسفته مقاربة شبه شاملة لكلّ ما يرتبط بالحياة الإنسانيّة، مبدؤها، منتهاها، تدبير شؤونها والسياسة التي ينبغي اتبّاعها. يقول الدكتور إبراهيم مدكور[1]: «كان الفارابيّ يريد أن يدرس كلّ شيء، وكان يميل إلى النظر في الأمور من كلّ ناحية، وإلى البحث في جميع الاحتمالات الممكنة، وكان يسعى إلى التوحيد والتعميم، إلى التقسيم والتفصيل، وهذه الروح البنّاءة ظاهرة تمام الظهور في أسلوبه الكتابيّ وفي عباراته.. فهو كاتبٌ يوجز ويلخّص ويعرف قيمة كلّ لفظة، وهو يطيل التأمّل الفكريّ في اللفظة كما يطيله في الفكرة».[2]

أبرز أفكاره الفلسفيّة:

♦ وحدة الفلسفة:

سعى الفارابي إلى التوفيق بين المذاهب المتعارضة من قبيل الجمع بين رأيي الحكيمين في كتابه "الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو"، مُعتبراً أنّ هذين الفيلسوفين متّفقان، وإنْ اختلفا في بعض المسائل[3].

♦ النظرة إلى الله والعالم:

بيّن الفارابي أنّ الموجود ينقسم إلى قسمين؛ إمّا أن يكون واجباً أو ممكناً، ولأنّ الممكن لا يخرج إلى الوجود إلا بعلّة ولمّا كانت العلل لا تتسلسل إلى غير النهاية، وجب أن ينتهي التسلسل إلى موجود واجب الوجود لا علّة لوجوده، فتكون الممكنات بذاتها واجبة بغيرها، والله هو موجودٌ واجب بذاته، وهو السبب الأوّل لوجود كلّ شيء في العالم.

وأمّا في ما يتعلّق بصفات الله، فيعتبر الفارابيّ أنّه لمّا كان السبب الأوّل هو الموجِد لسائر الموجودات، فذلك يعني أنّه بريء من كلّ نقص وأنّ وجوده أفضل وأكمل وأقدم وجود.

♦ النفس الإنسانية:

يعتبر الفارابي أنّ النفس الإنسانيّة تمتلك خمس قوى:

ـ القوّة الغاذية التي يتغذّى بها الجسم ويقوى من خلالها.

ـ القوّة الحاسّة التي تتمثّل فيها الحواس الخمسة، فيدرك من خلالها محيطه.

ـ القوّة النزوعيّة التي ينزع الإنسان من خلالها نحو الشيء، فيشتاق له أو ينفر منه فيكرهه.

ـ القوّة المتخيّلة التي من خلالها تُحفظ الصور التي ارتسمت من المحسوسات، فيُعاد تخيّلها مع غيابها.

ـ القوّة الناطقة التي تمكّن من إدراك المعقولات وتمييز حسنها من قبحها.

♦ المدينة الفاضلة:

يبيّن الفارابي أنّ المدينة الفاضلة هي الركن الاجتماعيّ الذي يتمّ فيه التعاون على الأشياء التي تُنال بها السعادة، حيث إنّ التعاون هو الشرط الأساس لبلوغ تلك السعادة، مشبّهاً هذه المدينة ببدن الإنسان الذي تتعاون أعضاؤه لحفظه ومدّه بالقوة. وهذه المدينة تتألّف من رئيس المدينة الذي ينبغي بحسب الفارابيّ أن يمتاز بخصال محدّدة تُظهر ضرورة كونه

(1)- إبراهيم مدكور (1902م - 1996م): عالم لغة، ومتخصّص في الفلسفة، وأستاذ جامعيّ مصريّ.
(2)- Madkour, Ibrahim, La Place d'Al Farabi Dans l'École Philosophique Musulmane, bulletin of the school of oriental and African schools, 2009, p15,16.
(3) يُراجع: صليب تاريخ الفلسفة، (م.س)، ص143-146.

كامل الصفات والملكات والذي يسمّيه "الإمام" بحكم تأثّره بالإمامة في المذهب الشيعيّ. وفي مقلبٍ آخر يشير الفارابيّ إلى ما هو مضادّ للمدينة الفاضلة والتي فصّل لكلّ منها حالها، فقسّمها إلى أربعة أنواع: المدينة الجاهلة، وهي التي لم يعرف أهلها السعادة ولم تخطر في بالهم أصلاً، المدينة الفاسقة وهي التي يعلم أهلها ما يعلمه أهل المدينة الفاضلة، لكن سلوكهم سلوك أهل المدينة الجاهلة، المدينة المبدّلة وهي المدينة التي كان سلوك أهلها سلوك أهل المدينة الفاضلة لكنهم بدّلوا ذلك، ورابعاً المدينة الضالّة وهي المدينة المُعتقِدة بالله، لكن رئيسها يكون ضالاً ويخادع الناس[1].

أخيراً، يعتقد الفارابي أنّ من يُقبِل على الفلسفة والعلم يجب أن يكون نظيفاً ونزيهاً من الناحية الأخلاقيّة، كما يعتقد أنّ الأخلاق هي مُنطلَق حضاريّ وشموليّ، وأنّ الحضارة مُندكّة مع الأخلاق، وأنّ رئيس المدينة هو المسؤول عن صيانة نظام المدينة[2].

(1) يُراجع: صليبا، تاريخ الفلسفة، (م.س)، ص147-177.

(2) يُراجع: المدارس الأخلاقيّة في الفكر الإسلاميّ دراسة منهجيّة حديثة في المصادر والاتجاهات، تعريب عبد الحسن بهبهاني بور، ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ، بيروت، 2012م، ص 128-129.

يسرُّ مجلة مع الشباب

أن تستقبل مقالاتكم في المحاور التالية من العدد الثامن لعام 2020م

تحت عنوان

تربية الشباب بين المعرفة وصناعة الخيارات

1. السلوك الاجتماعيّ والعاطفيّ عند الشباب (الأصدقاء، الجنس الآخر...).
2. المنهج التربوي في التعامل مع الشخصية الشبابيّة (دراسة تحليليّة لخصائص المرحلة الشبابيّة؛ الجسدية، النفسية، الفكرية، الاجتماعية...).
3. الشباب وتقليد الثقافة الغربيّة (قراءة لخطورة التحدي الفكري والثقافي).
4. التحديات التربوية المعاصرة التي يواجهها الشباب (المخدرات، وغيرها).
5. مسؤولية الأسرة والمجتمع في تربية الشباب، لمواجهة التحديات.
6. ضرورة التربية الشبابيّة في ظلّ التحديات المعاصرة.
7. الوعي الديني في التربية الشبابية.
8. رغبات الشباب واستعدادتهم التربوية.
9. التربية الأخلاقيّة للشباب المعاصر.

المحتويات
contents

بوصلة	سلاحٌ ذو حدّين	حسن أحمد الهادي	2
بقعة ضوء	الباحثون عن الله (3)	د. نور الدين أبو لحية	6
ملف العدد	الشباب ومنصّات السوشيال ميديا	خضر حيدر	12
	قراءة جديدة لمفهوم الميديا	حسن الزين	17
	مواقع التواصل الاجتماعي وتدمير الاستقلال الفكري والديني	زينب عقيل	22
	الإعلام الجديد والأمن الأسري	زهراء السيد	26
	عندما يصاب الشباب بالهوس	فضل شحيمي	31
	دور الإعلام الجديد في نشر ثقافة الاستهلاك	آلاء شمس الدين	34
	الجمهور وصناعة المحتوى الإعلامي للفيسبوك	محمد حيدر	38
	هل تعيد الإنترنت تشكيلنا؟!	علي أحمد	42
تربية	لذوي الاحتياجات تربية خاصّة..	زينب حسن الهادي	46
	إيمانك طريقك إلى السلام النفسيّ	عمار محمد الحموي	50
تنمية	عندما يُصبح التعليم إبداعياً	جهاد سعد	54
تجارب شبابيّة	أن تكتب، أن تكون مبدعاً..	أحمد شيبان. بشرى زهوة	58
أدب وفن	لكنني أحبك..	فاطمة كريّم	62
	نخب اشتياق	فاطمة مهدي سحمراني	68
تكنولوجيا	عالم الغد: المستحيل هو الممكن	محمد حسن	70
مصطلح ومعنى	الكاريزما	حوراء هزيمة	73
قضايا الشباب	السوشيال ميديا تقتحم.. والشباب يغرق!!	محمد باقر كجك	75
قراءة في كتاب	الميديا مفهومها المعاصر وعلاقتها بالإعلام الكلاسيكي	حسن الزين	78
إسهامات حضارية	مكة المكرمة	سكينة حسن	82
	المعلم الثاني: الفارابي	ليلى قبيسي	86

QR CODE

للتواصل

Email: Among.shabab@gmail.com
Whatsapp: 09613835051
telegram: t.me/maashabab
website: maaalshabab.iicss.iq
facebook: @maaalshabab
twitter: @maaalshabab
instagram: maaalshabab

سعر المجلة

5$ أو ما يعادلها بالعملات الأخرى